ذكر المجهولين من الرِّجال

١٩١ ـ رجل من بني مُرّة بن عَوْف

يقال : مرة بن رباب ، ويقال : ابن ذُبيان

كان في غزوة مؤتة فقيل له : إن الناس يقولون : إن خالداً انهزم من المشركين . فقال : لا والله ما كان ذلك ، لما قتل ابن رواحة نظرت إلى اللواء قد سقط ، واختلط المسلمون والمشركون ، فنظرت إلى اللواء في يد خالد منهزماً واتبعناه فكانت الهزيمة .

قال : وكأني أنظر إلى جعفر حين لحمته الحرب ،عقر فرساً له شقراء ثم قاتل حتى قُتِل .

١٩٢ ـ رجل مِنْ أَمْداد[1] حِمْيَر

قال عوف بن مالك الأَشْجَعي :

خرجت مع مَنْ خرج مع زيد بن حارثة في غزوة مُؤْته ، فرافقني مَدَدِي من أهل اليمن ـ وفي حديث آخر : رجل من أمداد حمير ـ ليس معه غير سيفه ، فنحر رجل من المسلمين جزوراً ، فسأله المددي طائفة من جلده ، فأعطاه إياه ، فاتخذ كهيئة الدَّرَق[2] ،وفيهم[3] رجل على فرس له أشقر ، عليه سرج مُذْهَب وسلاح مذهب ، فجعل الرُّومي يفرق بالمسلمين ، وقعد له المدَدِي خلف صخرة ، فمر به الرُّومي فعرقب فرسه فخرَّ وعلاه فقتله ، فحاز فرسه وسلاحه ، فلما فتح الله على المسلمين بعث خالد بن الوليد فأخذ

---

(١) جمع مدد ، وهم الأعوان والأنصار الذين كانوا يمدون المسلمين في الجهاد . النهاية : مدد .

(٢) ضرب من الترسة ، الواحدة درقة ، تتخذ من الجلود . اللسان : درق .

(٣) أي الروم .

من السَّلَب . قال عوف : فأتيته ، فقلت : يا خالد ، أما علمت أنَّ رسول الله ﷺ قضى بالسَّلَب للقاتل ؟ قال : بلى ، ولكني استكثرته [٩١/ب] قال عوف : فقلت : لتردَنَّه أو لأُعَرِّفَنَّكَهَا[١] عند رسول الله ﷺ ؟ فأبى أن يرده عليه . قال عوف : فاجتمعنا ، فقصصت عليه قصة الْمَدَدِي ومافعل خالد . فقال رسول الله ﷺ : يا خالد ، ما صنعت ؟ قال : يا رسول الله ، استكثرته . فقال رسول الله ﷺ ، رُدَّ عليه ما أَخذتَ منه . فقلت : دونك يا خالد ، ألم أقل لك ؟ فقال رسول الله ﷺ : ماذلك ؟ فأخبرته ، فغضب رسول الله ﷺ وقال : يا خالد ، لاتردّ عليه[٢] ، هل أنتم تاركو لي أُمرائي ، لكم صَفْوة أمرهم[٣] ، وعليهم كَدره .

١٩٣ ـ رجل شهد يوم مُؤْتَة

لما كان يوم مُؤْته برز رجل كافر[٤] من قُضَاعة ، يشتِمُ رسولَ الله ﷺ ، فبرز إليه رجل من المسلمين فقال : يا هذا ، أنا فلان بن فلان وأمي فلانة وأنا من بني فلان فسبني وسبّ والدي وسب عشيرتي ، واكفف عن رسول الله ﷺ ، فكأنما أغراه . فقال المسلم : لتنتهيَنَّ أو لأرجلنك بسيفي . فلم ينته . فشد عليه الْمُسْلم بسيفه فضربه ، وضربه[٥] الْقُضَاعيُّ فقتله . فقال رسول الله ﷺ : عجبت لرجلٍ نصر الله ورسوله بالغيب وألفى ربه متكئاً فجلس له . قال : فأسلم ذلك القاتل ، فكان يسمى الرُّجيل .

قال : هذا منقطع ، ومعناه ـ إن صح ـ أن الله تبارك وتقدس ، تلقاه بالإكرام كما يفعل من قدم عليه مَنْ يجله ويكرمه ، تعالى الله عن صفات الأجسام .

---

(١) أي لأجازينك بها حتى تعرف سوء صنيعك ، وهي كلمة تقال عند التهديد والوعيد . النهاية : عرف .

(٢) في مسند الإمام أحمد : ٢٨/٦ . لاترده عليه .

(٣) في الأصل : أمركم ، وهو تصحيف ، والمثبت من مسند الإمام أحمد : ٢٨/٦

(٤) مستدركة على هامش الأصل .

(٥) في الأصل : وضرب ، والمثبت من « تاريخ ابن عساكر » س : ١٤٨/١٩ ب .

١٩٤ ـ رجل من بني أسد

قِنَّسْرِيْني ، له صحبة ، وفد إلى معاوية .

حدّث خالد بن مَعْدان قال :

وفد المِقْدام بن معدي كرب ، وعمرو بن الأسود ، ورجل من [بني][1] الأسد من قِنَّسرين من أصحاب النبي ﷺ على معاوية ، فقال معاوية للمقدام : أما علمت أن الحسن بن علي [٩٢/آ] توفي ؟ قال : فاسترجع المقدام . فقال له معاوية : أتراها مصيبة ؟ قال : ولم لا أراها مصيبة وقد وضعه رسول الله ﷺ في حِجْره فقال : هذا مني وحسين من علي ؟ فقال للأسدي : ماتقول أنت ؟ قال : جمرة أطفأها الله . فقال المِقْدام : أما أنا فلا أبرح اليوم حتى أغيظك وأُسمعك ماتكره ، ثم قال : إن أنا صدقت فصدقني ، وإن أنا كذبت فكذبني . فقال : أفعل . فقال : أَنْشُدُك الله ، هل سمعت رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب ؟ قال : نعم . قال : وأَنْشُدُك الله ، هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الحرير ؟ قال : نعم . قال : أنشدك الله ، هل تعلم أن رسول الله ﷺ نهى عن جلود السباع والركوب عليها ؟ قال : نعم . قال : فوالله ، لقد رأيت هذا كلَّه في بيتك يامعاوية . فقال معاوية : قد عرفت أني لن أنجو منك اليوم . قال خالد : وأمر له معاوية بمال ولم يأمر لصاحبه ، وفرض لابنه قال : ففرقها المقدام على أصحابه ، ولم يعطِ الأسدي شيئاً مما أخذ ، فبلغ ذلك معاوية ، فقال : أما المقدام فرجل كريم بسط يديه ، وأما الأسدي فرجل حسن الإمساك لنفسه .

١٩٥ ـ رجل مِنْ غَسَّان

له وفادة على سيدنا رسول الله ﷺ .

قَدِمَ قوم من غَسَّان على رسول الله ﷺ في رمضان سنة عشر المدينة ، وهم ثلاثة ، قالوا : فنزلنا دار رملة بنت الحارث ، فإذا وفود العرب كلُّهم مصدقون بمحمد ﷺ فقلنا فيما بيننا : أترانا شَرَّ مَنْ يُرى من العرب ؟ ثم أتينا رسول الله ﷺ فأسلمنا وصدقنا وشهدنا أن

(١) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من « تاريخ ابن عساكر » س : ١٤٨/١٩ ب .

ما جاء به حق ولا ندري أيتبعنا قومنا أم لا ، فأجازهم رسول الله ﷺ [٩٢/ب] بجوائز وانصرفوا راجعين . فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم ، فكتموا إسلامهم حتى مات منهم رجلان مسلمان ، وأدرك واحد منهم عمر بنَ الْخَطَّاب عام اليرموك ، فلقي أبا عبيدة فخبَّره بإسلامه ، فكان يكرمه .

١٩٦ ـ رجل له صحبة

قال عبد الواحد القُرَشي :

لما أُتي يزيد بن معاوية برأس الحسين بن علي عليهما السَّلام ، تناوله بقضيب ، فكشف عن ثناياه ، فوالله ماالْبَرَد بأبيض من ثناياه ثم قال : [من الطويل]

يفلِّقُنَ هاماً مِنْ رِجال أعزَّةٍ علينا وهُمْ كانوا أعقَّ وأظلما[1]

فقال له رجل عنده : ياهذا ، ارفع قضيبك ، فوالله لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ في مكانه يقبله ، فرفعه متذمراً عليه ، فغضب .

١٩٧ ـ رجل من خَثْعَم

له صحبة .

قال رجل من أهل الشَّام يقال له عمار : أَدْرَبْنَا عاماً[2] ، وقفلنا وفينا شيخ من خَثْعم ، فذكر الْحَجَّاج ، فوقع فيه وشتمه ، فقلت له : ولم تشتمه وهو يقاتل أهل العراق في طاعة أمير المؤمنين ؟ ! فقال : إنه هو الذي أكفرهم . ثم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : يكون في هذه الأمة خمس فِتن ، فقد مضت أربعٌ وبقيت واحدة وهي الصَّيْلَم ، وهي فيكم ياأهل الشام ، فإن أدركتها فإن استطعت أن تكون حجراً فكنه ، ولا تكن مع واحد من الفريقين ، وإلاّ فاتخذ نفقاً في الأرض . قلت : أنت سمعت هذا من رسول

---

(١) البيت للحَصين بن الْحَمَام من قصيدة طويلة . انظر المفضليات : ٦٤ ـ ٦٩

(٢) أدرب القوم : إذا دخلوا أرض العدو من بلاد الروم . اللسان : درب .

الله ﷺ ؟ قال : نعم . قلت : يرحمك الله ، أفلا كنت أعلمتني أنك رأيت النبي ﷺ حتى أسائلك .

١٩٨ ـ رجل من أصحاب النبي ﷺ

قال القاسم بن مُخَيْمَرة :

أتيت مسجد دمشق ، فإذا فيه ناس جلوس يتحدثون ، وإذا فيهم شيخ من أصحاب رسول الله ﷺ فجلست إليهم ، فتحدثنا حديثاً حسناً ، [٩٣/آ] ثم تفرقنا ، فلما أصبحت من الغد قلت : لآتين جلسائي فأجلس معهم . قال : فلما أتيت المسجد إذا فيه الشيخ جالس وحدَه ، فأتيته فقعدت طويلاً لا يحدّثني ولا أحدّثه فقلت له : ألا تحدثني ؟ فإني والله لأحبك وأحب حديثك . قال : آلله ؟ قلت : آلله . قال : فإنه من تحابَّ في الله فإنه في ظل الله يوم لا ظل إلاّ ظله . ثم قال : يابني أو يابن أخي ، إذا أصبحت فقل لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كلّ شيء قدير ، عشر مرات ، فإنهن يكتبن عشر حسنات ، ويمحين عشر سيئات ويكن عِدْل أربع نسمات من بني إسماعيل ، ويكن حارساً لك من الشيطان إلى أن تمسي ، فإذا أمسيت فقلهن يكن لك ذلك حتى تصبح .

١٩٩ ـ رجل له صحبة

قال عبد الْجَبَّار الْخَوْلاني :

قدم علينا رجل من أصحاب رسول الله ﷺ دمشق ، فرأى مافيه الناس ـ يعني من الدنيا ـ فقال : ما يغني عنهم ، أليس من ورائهم الفلق ؟ قيل : ومالفلق ؟ قال : جُبٌّ في النار ، إذا فتح هَرَّ منه أهل النَّار .

٢٠٠ ـ رجل رأى رسول الله ﷺ

وبقي إلى خلافة عمرَ بنِ[1] عبد العزيز[1] .

جاء عمرَ رجل فقال :

يا أمير المؤمنين ، ها هنا رجل قد رأى رسول الله ﷺ . فقام عمر وقام معه جماعة قال : أنت رأيت رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم قال : فهل سمعت منه شيئاً أو رأيته يصنع شيئاً ؟ قال : لا ، إلا أني رأيته عليه كِرْكِرَة[2] من الناس ، ورجل يسأله عن الرؤيا ، فقال رسول الله ﷺ : للرؤيا شبه ، المرأة خير ، والبعير حزن ، واللبن الفطرة ، والخضرة الجنة ، والسفينة نجاة .

٢٠١ ـ رجل من مُزَيْنَة

كانت عنده قطيفة النبي ﷺ ، أو قطيفة من النبي ﷺ [٩٣/ب] فلما استخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه ، فأُتي بها في أديم ، فجعل يمسح بها وجهه .

٢٠٢ ـ رجل شَهِدَ اليرموك

قال رجل لأبي عبيدة يوم اليرموك : إني قد أجمعت عليَّ أمري أن أشدّ عليهم ، فهل توصوني إلى نبيكم ﷺ بشيء ؟ فقال : تقرئه السلام وتخبره أنّا قد وجدنا ما وعد الله ورسولُه حقاً .

٢٠٣ ـ رجل من أَهْل اليمن

أدرك النبي ﷺ ، [شهد اليرموك][3] فأصيبت يده .

كان عمر بن الخطاب يغدي الناس يوماً ، فرأى رجلاً يأكل بشماله فقال له : كُلْ

(١-١) مستدرك على هامش الأصل .

(٢) الكركرة : الجماعة من الناس . اللسان : كركر .

(٣) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٠/١٩ ب

بيمينك . فلم يجبه ، فأعاد عليه فقال : هي ياأمير المؤمنين مشغولة . فلما فرغ من طعامه دعا به فقال : ماشغل يدك اليمنى ؟ فأخرجها ، فإذا هي مقطوعة فقال : ماهذا[1] ؟ فقال : أصيبت يدي يوم اليرموك . قال : فمن يوضئك ؟ قال : أتوضأ بشمالي ، ويعين الله . قال : فأين تريد ؟ قال : اليمن ، إلى أمٍّ لي لم أرها مذ كذا وكذا سنة قال : أَوَبِرٌّ أيضاً ! فأمر له بخادم وخمسة أباعر من الصدقة وأوقرها له .

٢٠٤ - رَجُل من دِمَشْق

ركب أبو الدَّرْدَاء إلى المدينة في نفر من أهل دمشق ، ومعهم الْمُصْحف الذي جاء به أهل دمشق ليعرضوه على أُبي بن كعب وزيد بن ثابت وعليّ وأهل المدينة ، فقرؤوا على عمر بن الْخَطَّاب ، فلما قرؤوا هذه الآية ﴿ إذ جَعَل الذين كفروا في قلوبهم الْحَمِيَّة حَمِيَّة الجاهِلية[2] ﴾ ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام .

فقال عمر : مَنْ أقرأكم ؟ قالوا : أُبي بن كَعْب . فقال لرجل من أهل المدينة : ادع لي أُبي بن كعب . وقال للرجل الدمشقي : انطلق معه . فذهبا ، فوجدا أُبي بن كعب عند منزله يهنأ[3] بعيراً له بيده ، فسلَّما . ثم قال له المديني : أجبْ أمير المؤمنين عمر . فقال أُبيّ : ولِمَ دعاني أمير المؤمنين ؟ فأخبره بالذي كان . فقال أُبيّ للدِّمَشْقي : ماكنتم تنتهون معشر الرُّكيب أو يسترقني [٩٤/آ] منكم شر . ثم جاء إلى عمر وهو مشمر ، والْقَطِران على يديه ، فلما أتى عمر قال لهم : اقرؤوا . فقرؤوا : ولو حميتم كما حموا لفسد المسجد الحرام . فقال أُبي : أنا اقرأتهم . فقال عمر لزيد : اقرأ يازيد . فقرأ زيد قراءة العامة . فقال عمر : اللهم لاأعرف إلاَّ هذا . فقال أُبيّ : والله ياعمر ، إنك لتعلم أني كنت أحضر وتغيبون ، وأُدعى وتحجبون ، وتصنع بي ! والله لئن أحببتَ لألزمن بيتي فلا أحدِّث أحداً بشيء .

---

(١) في الأصل : ماهكذا ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٠/١٩ ب .

(٢) سورة الفتح : ٢٦/٤٨

(٣) أي يطليه بالهِناء ، وهو القطران . اللسان : هنأ .

٢٠٥ ـ رجل من الأَزْد

من ثُمَالة .

حدَّث أنه رأى عمر بن الخطاب بالجابية سجد في ﴿ إذا السماء انشقَّتْ ﴾

٢٠٦ ـ شيخ حكى عن عمر بن الْخَطَّاب

(١)أُتي عبد الملك بن مروان في خالة وعمة . فقام(٢) شيخ فقال(١) : شهدت عمر بن الخطاب أعطى الخالة الثلث ، والعمة الثلثين قال : فهَمَّ أن يكتب . ثم قال : أين زيد(٣) عن هذا ؟ !

٢٠٧ ـ قاضي دمشق

في خلافة عمر .

قال عمر بن الخطاب لرجل قاض : من أنت(٤) ؟ قال : أنا قاضي دمشق . قال : كيف تقضي ؟ قال : أقضي بكتاب الله . قال : فإذا جاء ماليس في كتاب الله ؟ قال : أقضي بسُنّة رسول الله ﷺ . قال : فإذا جاء ماليس في سنة رسول الله ﷺ ؟ قال : أجتهد رأيي وأؤامر جلسائي . فقال له عمر : أحسنت ، وقال له : إذا جلست فقل : اللهم ، إني أسألك أن أقضي بعلم ، وأن أفتي بحكم ، وأسألك الْعَدْل في الغضب والرِّضا . قال : فسار ماشاء الله أن يسير ، ثم رجع إلى عمر . قال : مارجعك ؟ قال : رأيت فيما يرى النائم أن الشمس والقمر يقتتلان مع كل واحد منهما جنود من الكواكب . قال : مع أيهما كنت ؟ قال : مع القمر . قال عمر : نعوذ بالله ﴿ وجَعَلْنَا اللَّيْلَ والنَّهار آيتين فَمَحَوْنَا آيةَ الليل **وجَعَلْنَا آيةَ النَّهار مُبْصِرَة ﴾(٥) والله لاتلي لي عملاً أبداً .**

قال : فيزعمون أن ذلك الرجل قتل مع معاوية بصفِّين .

(١ـ١) مستدرك على هامش الأصل .

(٢) في الأصل : فقال ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥١/١٩ أ .

(٣) هو زيد بن ثابت ، الصحابي الجليل ، وفي الحديث : وأفرضهم زيد بن ثابت . انظر مسند الإمام أحمد : ٢٨١/٣

(٤) في الأصل العبارة مكررة . قال عمر بن الخطاب لرجل : من أنت ؟

(٥) سورة الإسراء : ١٢/١٧

٢٠٨ ـ رجل من دمشق

حجَّ مع عمر ، واستفتاه .

[٩٤/ب] عن أبي المليح أنه كتب إلى أبي عُبيدة بن عبد الله بن عتبة يسأله عن النَّعامة يصيبها المُحْرِم وعن الحمار ، وعن بيض النَّعام وعن الجرادة . فكتب إليه : في النَّعامة بَدَنَة ، وفي الحمار بدنة . قال : وكان عبد الله بن مسعود يقول في بيض النَّعام : في كل بيضة صوم يوم أو إطعام مسكين .

وأصاب رجل من أهل دمشق ثلاث جرادات وهو مُحْرِم ، فأعطى عن كل جرادة درهماً . فَذُكِر ذلك لعمر بن الْخَطَّاب فقال : إنكم كثيرة دراهمكم يا أهل دمشق ، ولتمرة أحب إليَّ من خمسين جرادة ، وقبضة طعام كانت جازية عنك .

٢٠٩ ـ عامل لعمر بن الخطاب

على أَذْرِعَات ، من الْبَلْقاء .

قال : قَدِمَ علينا عمر بن الْخَطَّاب ، وعليه قميص من كرابيس[1] فأعطانيه ، فقال : اغسله وارقعه . قال : فغسلته ورقعته ، ثم قطعت عليه قيصاً قبطياً فأتيته بها ، فقلت : هذا قيصك ، وهذا قميص قطعته عليه لتلبسه ، فسه فوجده ليِّناً ، فقال : لا حاجة لنا فيه ، هذا أنشف للعرق منه .

٢١٠ ـ رجل من بني أسد

حدَّث أبو وائل شقيق بن سَلَمة الأسدي ، عن رجل من قومه قال :

غزونا مع عمر بن الْخَطَّاب الشَّام ، فنزلنا منزلاً ، فجاء دِهْقان يستدل على عمر حتى أتاه ، فلما أتاه الدِّهْقان ، سجد حين رأى عمر . فقال عمر : ما هذا السجود ؟ ! قال : هكذا نفعل بعظمائنا . فقال عمر : اسجد للذي خلقك . قال : يا أمير المؤمنين ، إني صنعت لك

---

(١) هي جمع كرباس ، وهو القطن . اللسان : كربس .

طعاماً لتأتيني . فقال عمر : لعل في بيتك شيئاً[1] من زخرف العجم ؟ قال : نعم . قال : لاحاجة لي في بيتك ، ولكن ابعثْ إليَّ بلون واحد من طعام ، ولاتزيدن عليه . وانطلق ، فبعث إليه بطعام ، فأكل منه عمر ، فاستقبله الناس في ثياب الحرير والديباج . فقال : هذا لباس أهل الشرك ، بئس ما [٩٥/آ] استقبلتموني به ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : لاتَلْبَسوا الديباج ولاالحرير ، ولاتشربوا في آنية الذهب والفضة ، فإنها لكم في الآخرة ، ولهم في الدنيا ، ثم أمر بطِلاء فصنع له شيء ذهب ثُلُثاه وبقي ثلثه فشربه فوافقه ، فقال : إني قد أمرت بشراب من الْعِنَب فطبخ حتى ذهب ثلثاه وبقي ثلثه ، وخفت أن تقولوا أمر به عمر ؛ فتشربون غيره ، وإني لاآمركم إلاّ بمثل هذا .

٢١١ ـ رجل من الأشعريين

كان زوج أم شَهْر بن حَوْشب .

حدّث شَهْر بن حَوْشب عن رابِّهِ[2] ، رجل من قومه كان خَلَف على أُمه بعد أبيه ، كان شهد طاعون عَمَواس قال :

لما اشتعل الوجع قام أبو عبيدة بن الجراح خطيباً فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع رحمةُ ربكم ، ودعوةُ نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، وإن أبا عُبيدة يسأل الله أن يقسم له منه حظَّه ، قال : فَطُعِن ، فمات . واستُخلف على النَّاس معاذُ بن جبل ، فقام خطيباً بعده ، فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجعَ رحمةُ ربكم ، ودعوةُ نبيكم ، وموت الصالحين قبلكم ، إن معاذاً يسأل الله أن يقسم لآل معاذ منه حظَّه . فطُعن ابنُه عبد الرحمن ، فمات ، ثم قام فدعا ربَّه لنفسه ، فطُعن في راحته ، فلقد رأيته ينظر إليها ثم يقبّل ظهرَ كفّه ، ثم يقول : ماأُحِبُّ أن لي بما فيكِ شيئاً من الدُّنيا . فلما مات استُخلف على الناس عمرو بن العاص ، فقام فينا خطيباً ، فقال : أيها الناس ، إن هذا الوجع إذا وقع فإنما يشتعل اشتعال النار ، فَتَجَبَّلُوا منه في الجبال . فقال له أبو وائلة الهُذَلي : كذبتَ والله ، لقد صحِبْتُ رسول الله ﷺ ، وأنت شرٌّ من حماري هذا !! قال : والله ماأُرَدّ عليك ماتقول ، وايم الله

---

(١) في الأصل : شيء .

(٢) انظر حاشيتنا رقم /١/ص/١٧٤/ من هذا الجزء .

لا تقيم عليه . ثم خرج وخرج النَّاس ، وتفرَّقوا عنه ، ورفعه الله عَزّ وجل عنهم ، فبلغ ذلك عمرَ بنَ الخَطَّاب مِنْ رَأي عمرو ، فوالله ما كَرِهه .

٢١٢ - رجل مِنْ بني تميم [٩٥/ب]

قال : كنا عند باب معاوية ، وفينا أبو ذر ، فقال أبو ذر : إني صائم . فلما دخلنا على معاوية ، ووضعت الموائد جعل أبو ذر يأكل ، وجعلت أنظر إليه ، فقال : ما شأنك ياأحمر ، أتريد أن تشغلني عن طعامي ؟ فقال : ألم تزعم على الباب أنك صائم ؟ فقال أبو ذر : بلى . ثم قال : قرأت ﴿ مَنْ جَاء بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِها ﴾[1] ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : صَوْمُ شَهْرِ الصَّبْرِ وثلاثةِ أيام من كل شهر ، صومُ الدَّهْرِ ، ويذهَبُ بَمَغَلَّةِ الصَّدْرِ . قلت : ما مَغَلَّةُ الصَّدْرِ ؟ قال : رِجْس الشَّيْطان ، وقد صمت ثلاثة أيام من كل شهر ، فأنا صائمٌ الدَّهْرَ كلَّه .

٢١٣ - رجل من أهل دمشق

قال : أتيت أبا ذر وهو في جبل الخمر[2] لأسأله ، فرأيته وهو مكبٌّ على نُوَيرة[3] هو وامرأته يعالجها في يوم رِشاش[4] وقد سالت دموعُه على لحيته ، فلما غَشِيتُه ثارت امرأته فدخلت خِباءها ، وأرخت عليها سترها . فقلت : ياأبا ذر ، لو أنك اشتريت خادماً يكف المؤنة عنك وعن أهلك . فقالت امرأته : قد والله قلت له . فقال أبو ذر : اللهم غفراً ، أنا أبو ذر وهذا عيشي ، فإن تصبري فأنا من قد عرفت ، وإلاّ فتحت كنف الله . فقلت : ياأبا ذر ، أنا رجل ليس لي فضل ، وإنما هو عطائي منه فضل يدرك عطائي الآخر ، وقد بقي منه شيء ، أفتتخوَّف عليَّ إن أدركني أجلي ، وعندي منه شيء ؟ فقال : والذي نفسي بيده ، لو أدركك أجلك ، وعندك منه فضل خَرْ بَصِيصة[5] لكويت به . قلت : ياأبا ذر ، أنت في

(١) سورة الأنعام : ١٦٠/٦

(٢) جبل بيت المقدس ، سمي بذلك لكثرة كرومه . معجم البلدان : ١٠٢/٢

(٣) تصغير نار . اللسان : نور .

(٤) المطر القليل . اللسان : رشش .

(٥) هي الهنة التي تتراءى في الرمل لها بصيص كأنها عين الجرادة . اللسان : خربص .

أربع مئة ، فأين يذهب عطاؤك ؟ قال : ترى هذه القرية ، فإن لي فيها ثلاثين فرساً أحمل على خمسة عشر في كل عام ـ أو قال : غزوة ـ فإذا رجعت ، أعقبتها بالأُخرى ، ثم نظرت إلى ما يصلحها من أعلافها وأجِلّتها ، وأُجرائها ، وكلما نَفَقَ منها فرس أبدلت مكانه فرساً ، ثم نظرت إلى قوتي وقوت أهلي فحبسته وتصدّقت بالفضل .

٢١٤ ـ رَجُلان مِنْ أهل دمشق [٩٦/آ]

تنازعا ، فعاثا ، فاستطال أحدهما على الآخر ، فعاث المستطال عليه ، ثم قام فلقيه أبو الدَّرْداء ، فقال : شعرت أنك قد نصرت على صاحبك . قال : بماذا يا أبا الدرداء ؟ قال : كثر ماله وولده ، ومن يكثر ماله وولده تكثر شياطينه .

٢١٥ ـ رجل سأل أبا الدَّرْدَاء

وهو مريض ، فقال : ياأبا الدَّرْداء ، إنك قد أصبحت على جناح فراق الدنيا ، فمرني بأمر ينفعني الله به ، وأذكرك به . فقال : إنك من أمة معافاة ، فأقم الصلاة ، وأدِّ زكاة مالِ إن كان لك ، وصم رمضان ، واجتنبِ الفواحش ، ثم أبشر . فأعاد الرَّجل على أبي الدرداء ، فقال له مثل ذلك . قال شعبة : أحسبه ثلاث مرات ، ورد عليه ثلاث مرّات .

٢١٦ ـ رجل رَحَل إلى أبي الدَّرْدَاء

كان فتى ، زوَّجَتْه أُمه ابنة عمه ، فعَلِقَ منها مَعْلَقاً[1] ثم قالت له : طلِّقْها . فقال : لاأستطيع ، علقت مني معلقاً ماأستطيع طلاقها . فقالت : طعامك وشرابك عليَّ حرام حتى تطلقها . فخرج إلى أبي الدرداء بالشَّام ، فذكر له شأنه ، فقال : ماأنا بالذي آمرك أن تَعُقَّ والدتك ولا آمرك أن تطلق امرأتك . فأعاد عليه فقال : سمعت النبي ﷺ يقول : الوالد أَوْسَط أبواب الجنة ، فإن شئت فاحفظه ، وإن شئت فضيّعْه . قال : فرجع وقد طلّقها .

---

(١) أي أحبها وشَغِفَ بها . اللسان : علق .

٢١٧ ـ رجل من أصحاب [أبي][1] الدَّرْدَاء

قال : حدَّثنا أبو الدَّرْدَاء ، قال : عهد إلينا رسول الله ﷺ أن أخوف ما أخاف على أمتي أئمة مُضلُّون .

٢١٨ ـ رجل نَخَعي من أهل الكوفة

قال :

شهدت أبا الدَّرْداء حين حضره الموت ، قال : إني محدثكم حديثاً سمعته من [٩٦/ب] رسول الله ﷺ لم أكن لأحدثكم به حتى أعلم أني ميت ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : اعْبُدِ الله كأنَّك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، وعُدَّ نفسك في الموتى ، واتقِ دَعَوات المظلوم ، **فإنها مستجابات ، ومن استطاع منكم أن يشهد العِشاء الآخرة وصلاة الغَداة في جماعة فليفعل ، ولو حَبْواً .**

٢١٩ ـ رجل سَمِعَ أبا الدَّرْدَاء ومُعَاوية

زار عبد الرحمن بن غَنْم أبا الدَّرْدَاء بحمص ، فمكث عنده ليالي ، فأمر بحماره فأُوكف له[2] . فقال أبو الدرداء : لاأراني إلاّ مشيعك . فأمر بحماره فأُسرج ، فسارا جميعاً على حماريهما ، فلقيا رجلاً شهد الجمعة بالأمس عند معاوية في الجابية ، فعرفهما الرجل ولم يعرفاه ، فأخبرهما خبر الناس ، ثم إن الرجل قال : وخبر آخر كرهت أن أخبركما ، أراكما تكرهانه ، فقال أبو الدرداء : فلعل أبا ذر توفي ؟ قال : نعم والله ، فاسترجع أبو الدَّرْداء وصاحبُه قريباً مِنْ عشر مرات . ثم قال أبو الدرداء : ﴿ [فـ]ـارْتَقِبْهُمْ واصْطَبِر ﴾[3] كما قيل لأصحاب النَّاقة ، اللهم ، إن كذَّبوا أبا ذر فإني لاأكذِّبه ، وإن اتهموه فإني لاأتهمه ، وإن استغشوه فإني لاأستغشه ، **فإن رسول الله ﷺ كان يأتمنه حين لا يأتمن أحداً ، ويسر إليه**

---

(١) مابين حاصرتين ليس في الأصل .

(٢) أي وضع عليه الوكاف . اللسان : وكف .

(٣) سورة القمر : ٢٧/٥٤ وما بين حاصرتين ليس في الأصل .

حين لا يسر إلى أحد ، أما والذي نفس أبي الدَّرْداء بيده لو أن أبا ذر قطع يميني ما أبغضته بعد الذي سمعت رسول الله ﷺ يقول : ما أظلّت الخَضْراء ولا أقلّت الغَبْراء مِنْ ذي لهجة أصْدَقَ من أبي ذَرّ .

٢٢٠ ـ رجل مَرَّ بأبي الدَّرْدَاء

وهو يغرس غرساً بدمشق فقال له : أتفعل هذا وأنت صاحبُ رسول الله ﷺ ؟ ! قال : لاتعجل علي ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : مَنْ غَرَس غَرْساً لم يأكلْ منه آدميٌّ ، ولا خَلْقٌ من خلق الله ، إلاّ كان له صدقةً .

[٩٧/آ]

٢٢١ ـ مولى لأبي الدَّرْدَاء

قال : سمعت أبا الدرداء وهو يوصي حبيب بن مسلمة فقال : إياك ودعوة المظلوم ، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن العبد إذا ظُلِمَ فلم ينتصر ، ولم يكن له من ينصره ، فرفع طرفه إلى السماء ، فدعا الله فلباه ، فقال : لبيك ، وإن الله يلبيه ويقول : ياعبدي أنا أنتصر لك عاجلاً وآجلاً .

٢٢٢ ـ رجل من الأَنْصَار

دق رجل من قريش سنِ رجل من الأنصار ، فاستعدى معاوية ، فقال الأنصاري لمعاوية : إن هذا دق سني ، فقال معاوية : كلاّ ، إنّا سنرضيك . قال : وألح الآخر على معاوية ، أكب عليه حتى أبرمه ، فقال له : شأنك بصاحبك . وأبو الدرداء جالس عند معاوية ، فقال أبو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : مامِنْ رجل يُصابُ بشيء من جسده ، فيتصدّقُ به إلاّ رَفَعَه الله عَزَّ وجل درجة ، وحَطَّ عنه بها خطيئة . قال الأنصاري لأبي الدرداء : أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ، سمعته أذناي ووعاه قلبي . فقال الأنصاري : فإني أدعه لله عز وجل . فقال معاوية : لاجَرَم والله لاتغيب . فأمر له بمال .

٢٢٣ ـ رجل

قال : دخلت مسجد دمشق ولم أوافق فيه أحداً ، فصلّيت ركعتين ثم قلت : اللهم آمن وحدتي ، وآنس وَحْشتي ـ وفي آخر ـ وارحم غربتي ، وآنسني بجليس صالح تنفعني به . إذْ دخل رجل فصلّى ركعتين ثم جلس إليَّ ، فإذا هو رجل له هيئة ، فأخبرته بدعوتي فقال : والله ، يا بن أخي لئن كنت صادقاً لأنا أسرّ بدعوتك منك ، وإن كنت ذلك الرجل الذي سألت لأحدثنك حديثاً ما حدثته أحداً قبلك ، ولا أحدّث به أحداً بعدك ، عسى الله أن ينفعك به . سمعت رسول الله ﷺ ، وقرأ : ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الذينَ اصْطَفَيْنَا ﴾[1] الآية . قال : فأما السّابق فيدخل الجنة بغير حساب ، وأما المُقْتَصِد [٩٧/ب] فيحاسب حساباً يسيراً ، ثم يدخله الله الجنة برحمته ، وأما الظالم لنفسه فأولئك الذين يوقفون يوم القيامة موقفاً كريهاً ، حتى ينال منهم ، ثم يطلقهم الله برحمته ، فهم الذين قالوا ﴿ الحَمْدُ لله الذي أَذْهَبَ عَنَّا الحَزَنَ ﴾[2] الآية . قال : فهو حزن ذلك اليوم وذلك الموقف . قال الرجل : فقلت : من أنت يرحمك الله ؟ قال : أنا أبو الدَّرْداء .

وفي آخر بمعناه : ويجيء الظّالم ، فيحبس حتى يصيبه كظ العذاب ، وسوء الحساب ، ثم يدخل الجنة .

٢٢٤ ـ رجل من دمشق

حدّث عن عوف بن مالك ، عن أبي ذر أنه جلس إلى رسول الله ﷺ ، أو جلس رسول الله ﷺ في المسجد فقال له :

يا أبا ذر ، هل صليت الضُّحى ـ أو الضحاء ـ ؟ قال : لا . قال : قم فصلّ ركعتين . فقام ، فصلى ثم جلس . فقال له : يا أبا ذر ، نعوذ بالله من شياطين الإنس . قال : قلت : يا رسول الله ، هل للإنس شياطين ؟ ! قال : نعم . قال : يا أبا ذر ، ألا أدلك على كَنْزٍ من كنوز الجنة ؟ قال : قلت : نعم . قال : قلت : ما هو ؟ قال : لاحول ولا قوة إلاّ بالله . قال : قلت : يا رسول الله ، فالصلاة ؟ قال : خَيْر موضوع ، فمن شاء استقل ، ومن شاء استكثر . قال : فالصوم ؟ قال : فرض مجزئ . قال : فالصدقة ؟ قال : أضعاف مضاعفة ،

---

(١) سورة فاطر : ٣٢/٣٥

(٢) سورة فاطر : ٣٤/٣٥

وعند الله المزيد . قال : قلت : فأي الصدقة أفضل ؟ قال : جهد المقل أو سر إلى فقير . قال : قلت : فأيما أنزل آية عليك أعظم ؟ قال : ﴿ الله لا إلَه إلاّ هُوَ الحيُّ القَيُّوم ﴾[1] حتى فرغ من الآية . قال : قلت : كم المرسلون ؟ قال : ثلاث مئة وخمسة عشر جَمّاً غفيراً . قال : قلت : فآدم كان نبياً ؟ قال : نعم مكلّماً . قال : ثم ؟ قال : أبخل النّاس من ذُكرت عنده فلم يصلّ عليّ .

صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم .

٢٢٥ ـ رجل حَدَّث عن عائشة

قالت : أصبحت أنا وحفصة صائمتين ، فأُهدي لنا طعام فأكلنا منه . قالت عائشة : فدخل علينا رسول الله ﷺ فبدرتني حفصة [٩٨/آ] ـ وكانت ابنة أبيها ـ فقالت : يارسول الله ، أصبحت أنا وعائشة صائمتين ، فأهدي لنا طعام ، فأكلنا منه . قالت : فتبسم رسول الله ﷺ وقال : صُوما يوماً مكانه .

٢٢٦ ـ شيوخ من بني عَنْس

حدّثوا أنهم لما كانوا بصفّين ، أتوا جبل الْجُوديّ ينظرون إلى موضع السفينة منه . قال : فبينا نحن ننظر إلى آثارها ، ومابقي من حديدها ، إذا نحن بأبي هريرة ينظر إلى ما نظرنا[2] إليه منها ، فسلّمنا عليه ، فردَّ السّلام . فقلنا له : أخبرنا عن هذه الْفِتْنة التي نحن فيها . فقال : أما إنكم ستنصرون فيها على عدوّكم ، ثم سكت وسكتنا . فقال : مالكم لاتسألوني ؟ فقلنا : أخبرنا . فقال : أما إنها ستكون بعدها فتن ماهذه عندها إلاّ كالماء **بالعسل تتركم وأنتم قليل نادمون**[3] ، **ولَتَنْزِلَنّ فارس أرضها ، يضطرب نُشّابها بين لَعْلَع**[4] **وبارق**[5] **ولَتَنْزِلَنّ الروم أرضها آمنة يضطرب نُشّابها ، ولتخرجَنّكم من الشام كَفْراً كَفْراً**[6]

---

(١) سورة البقرة ٢/٢٥٥

(٢) في الأصل : ماناظرنا ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٩/١٥٥ أ .

(٣) في الأصل : نادمين .

(٤) لعله منزل بين البصرة والكوفة : انظر معجم البلدان : ٥/١٨

(٥) مواضع كثيرة ، أشهرها ماء بالعراق ، هي الحد بين القادسية إلى البصرة من أعمال الكوفة . معجم البلدان : ١/٣١٩

(٦) أي قرية قرية : النهاية : كفر .

إلى سَنْبَك[1] من الأرض يقال له حِسْمَى جُذام[2] .

٢٢٧ ـ رجل مِنْ دِمَشْق

قال إبراهيم بن عبد الرحمن بن عَوْف أنه قدم على معاوية في خلافته : فدخلت المقصورة فجلست ، فقال لي رجل : من أنت يافتى ؟ قلت : أنا إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف . قال : يرحم الله أباك ، أخبرني فلان ـ لرجل سماه ـ أنه قال : لألحقن بأصحاب رسول الله ﷺ فلأُحدثن بهم عهداً ولأكلمنهم . فقدمت المدينة في خلافة عثمان بن عفان ، فلقيتهم إلاّ عبد الرحمن بن عوف ، أُخبرت أنه بأرض له بالجُرُف[3] ، فركبت إليه ، فإذا هو واضع رداءه ، يحول الماء بِمِسْحاة[4] في يده ، فلما رآني استحيا مني وألقى المِسْحاة ، وأخذ رداءه ، فسلَّمت عليه وقلت له : جئتك لأمر وقد رأيت أعجب منه ، هل جاءكم إلاّ ماجاءنا ؟ وهل علمتم إلاّ ماقد علمنا ؟ فقال عبد الرحمن : لم يأتنا إلا ماقد جاءكم ، ولم نعلم إلا ماقد علمتم . قال : قلت : فما لنا نزهد في الدُّنيا وترغبون ، [٩٨/ب] ونخِفُّ في الجهاد وتتثاقلون ، وأنتم سلفنا وخيارنا وأصحاب نبينا ﷺ ؟ فقال عبد الرحمن : لم يأتنا إلاّ ماقد جاءكم ، ولم نعلم إلاّ ماقد علمتم ، ولكنا بلينا بالضَّراء فصبرنا ، وبلينا بالسَّرّاء فلم نصبر .

٢٢٨ ـ رجل من دمشق

حدّث عن عبد الله بن عمر أنه قال : إن رسول الله ﷺ كان يقول :

من قال هذه الكلمات ، ودعا بهن ، فرّج الله همه ، وأذهب حزنه ، وأطال سروره . أن يقول : اللهم ، إني عبدك وابن عبدك ، ابن أَمَتك وفي قبضتك ، ناصيتي في يدك ، ماضٍ فيّ حكمك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بأحب أسمائك إليك ، وباسمك الذي سميت به

---

(١) أي طرف . شبه الأرض في غلظتها بسنبك الدابة ، وهو طرف حافرها . النهاية : سنبك .

(٢) جبال وأرض بين أيلة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلي أيلة . معجم البلدان : ٢/٢٥٨ ـ ٢٥٩

(٣) موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام . معجم البلدان : ٣/١٢٨

(٤) هي المجرفة من حديد . اللسان : مسح .

نفسك ، وبكل اسمٍ أنزلته في كتابك ، أو علَّمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن نور صدري ، وربيع قلبي ، وجَلاء حزني ، وذهاب هَمِّي .

٢٢٩ ـ شيخ مِنْ دمشق

حدث عن أبي أمامة الباهلي قال :

كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة من الليل كبر ثلاثاً ، وسبح ثلاثاً ، وهلل ثلاثاً ، ثم يقول : اللهم ، إني أعوذ بك من الشيطان الرَّجيم ، من هَمْزه ونَفْخه[1] ، وشَرَكه .

٢٣٠ ـ رجل مِنْ أَهْل دمشق

قال أبو غالب ، صاحب أبي أمامة :

كنت بدمشق ، ورجل يَنْشُد المال ، ورجل مِنَ التجار معي فقال : لقد ذهب لي مالٌ مامثله يُرد . قلت : علىٰ ذاك لو أتيناه فسألناه . فأتيناه فسألناه فقال : قد وجدت مالاً وهو في المنزل . فذهب بنا إلى منزله ، فلما نظر التاجر إلى خُرْجه قال : مالي . فدفعه إليه . فقال صاحب المال : خذ منه ماشئت . قال : لاأرزؤك منه شيئاً ، وماعندي عشاء ليلة ، ولقد كنت من مالي في غَنَاء . قال : فإذا هو قد لف الْخُرْج بشريط وطرحه على حجارة في البيت ، وكان المال أربعين ألف دينار . قال أبو غالب : [٩٩/آ] فقلت للتاجر : **كيف كان أمر مالك ؟ قال : أتيت باب الْفَرَما فخشيت من الْعَشَّارين ، فوضعت الْخُرْج على حمار ، وخلَّيت سبيله ، فانطلق الحمار فلم أجده .**

٢٣١ ـ رجل رَحْبي من الرَّحْبة[2]

حدَّث أنه قعد في حَلقة بدمشق فيها واثلة بن الأسقع اللَّيْثي فحدَّث القوم ، فلما أرادوا أن يتفرقوا أخذوا في عيب عليٍّ حتى وصل ذلك إلى ذلك الرجل ، وكان آخر من أراد

---

(١) النفخ : الْكِبْر . اللسان : نفخ .

(٢) بلدة على الفرات بين الرقة وبغداد . انظر معجم البلدان ٣٤/٣

القيام ، فتناوله واثلة بثوبه فأقعده . فقال له : أتعرف علياً ، هل رأيته ؟ قال : لا . قال : أفلا أحدّثك عن عليّ ؟ قال : بلى . قال : أتيت علياً أطلبه في منزله فلم أصبه ، فاستجابت لي فاطمة بنت رسول الله ﷺ فقالت : مَنْ تريد ؟ قلت : أبا حسن . قالت : السّاعة يأتيك من هذه الناحية . قال : فجاء عليٌّ والنبي ﷺ معه ، يتوكأ عليه ، فدخل على فاطمة وحسن وحسين ، ثم دعا بمِرْط[1] فغشاهم به ثم قال : اللهم ، هؤلاء أهلي ثم قال : ﴿ إِنَّما يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البيتِ ، ويُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾[2] قال : قلت : يا رسول الله ، وأنا فاجعلني مِنْ أهلك . قال : وأنت . قال : فوالله ، ماعندي شيء أرجى عندي منها .

٢٣٢ ـ رجل مِنْ حَجُور[3]

حَدّث عن أنس بن مالك قال :

سمعت أنس بن مالك يقول وسأله الوليد بن عبد الملك بدير المُرّان[4] : حدّثنا حديثاً سمِعْتَه من رسول الله ﷺ فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن الإيمان يمان إلى هذين الحيين ، لَخْمٍ وجُذَام ، وإن الكفر والْجَفَاء في هذين الحيين : ربيعة ومُضَرَ . قال الوليد : قد سمعتُ هذا ، فحدثني غيره ، فصمتَ أنس .

٢٣٣ ـ شيخ كبير من أهل دمشق

[٩٩/ب] كان في عصر الصّحابة .

قال حِبّان بن زيد :

نفرنا مع صفوان بن عمرو ـ وكان والياً على حمص قبل الأفسون[5] ـ إلى الجراجمة ،

---

(١) كساء من خز أو صوف أو كتان . اللسان : مرط .

(٢) سورة الأحزاب : ٣٣/٣٣

(٣) بطن من همدان . انظر اللباب : ٢٨٢/١

(٤) كان قرب دمشق . معجم البلدان : ٥٣٣/٢

(٥) كذا في الأصل ولم أعرفه .

فلقيت شيخاً كبيراً من أهل دمشق على رحالة ـ قد سقط حاجباه على عينيه ـ فهن أغاث فسلَّمْت عليه وقلت : ياعم ، لقد أعذر الله إليك ، فرفع حاجبيه فقال : يابن أخي ، إن الله استنفرنا خِفافاً وثقالاً ، إنه من يحبه الله يبتليه ثم يعيذه فيقتنيه ، إنما يبتلي الله من عباده من صبر وشكر وذكر ، ولم يعبد إلاّ الله .

٢٣٤ ـ حَرَسِيٌّ لمعاوية

قال : عرضت على معاوية خيل ، فقال لرجل من الأنصار يقال له ابن الحَنْظَلِيّة :

يابن الحنظلية ، ماذا سمعت رسول الله ﷺ يقول في الخيل ؟ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : الْخَيْلُ مَعْقُود في نواصِيْها الخيرُ إلى يوم القيامة ، وصاحبها مُعَانٌ عليها ، والْمُنْفِقُ عليها كالباسط يدَه بالصَّدَقة لا يَقْبِضُهَا .

٢٣٥ ـ شابٌّ من قريش

قال الأصمعي :

خرجت ابنةٌ لمعاوية صبية ، وجماعة من قريش جلوس . فقال شاب من قريش : ماأكبر عَجيزَتَها ! فدخلت إلى معاوية تبكي . فقال : ما يبكيك ؟ قالت : سَفَل بي أحد القوم الذين بالباب . فخرج عليهم معاوية وهو مُغْضب فقال : أيكم سفل بالصبيَّة ؟ فسكت القوم . فأعادها . فقال الشاب : أنا مازحتها ياأمير المؤمنين . فقال معاوية : أما والله لقد رأيت أمك وهي تضرب بصحنها فتؤذي جليسها ومانظرت نفسها ، وإني لأعلم قريش بقريش . فقال له الرجل : مهلاً فوالله إني لأعلم قريش بقريش . فقال معاوية : واحدة بواحدة ، ولكم جوائزكم .

٢٣٦ ـ رجل من أهل الْبَادِية

وفد على معاوية ، كانت امرأته قالت له هي وبناته : لو أتيت أمير المؤمنين فسألته وأخبرته بما لك ، لعل الله يرزقك منه شيئاً . فقال : ليس بيدي شيء . فباعوا [١٠٠/آ] متاعاً لهم ، وتجهّز إلى معاوية ، فدخل عليه وقد نَصِبَ في الطريق ، فرأى جماعة الناس

على معاوية ، فلم يقدر على كلامه ، فدار خلفه فقعد خلف السَّرير بين وسادتين ، فجعل يخفق برأسه لما لقي من العناء في طريقه . فقال ابن بُرَيْدَة[1] : والشيخ إذا كان قاعداً كان أكثر لَنْومه ، فنام ، وتفرَّق الناس عن معاوية لما أمسوا ، وخرج للمغرب ، ثم رجع فتعشَّى وخرج لصلاة العِشاء ، والشيخ نائم لا يعلم ، حتى ذهب هَوِيٌّ[2] من الليل . فدخل معاوية إلى أهله فانتبه الشيخ لمَّا أصابه برد الليل ، فإذا هو بالسُّرُج وليس في البيت غيره ، فقام فخرج إلى الدار ، فإذا الأبواب مغلقة ، فاسترجع وقال : إنَّا لله ، جئت أطلب الخير فالآن أوخذ بظن أني جئت أغتال أمير المؤمنين . فطلب مكاناً يختبئ فيه إلى أن يصبح فلم يجد ، فدخل تحت سرير معاوية ، فلما ذهب هَوِيٌّ من الليل إذا معاوية أقبل ، شيخ ضخم البطن ، متوشح بِلِحَفة حمراء ، حتى قعد على السرير ، والشيخ ينظر وهو يسترجع في نفسه : الآن أقتل . ثم قال معاوية : ياغلام ، انطلق إلى ابنة قَرَظَة[3] فادعها ، فجاءت تمشي ومعها جواري يسترنها حتى صعِدت على السرير معه ، فطرب للجواري ، فكلَّمها معاوية ساعة ثم قال : عزمت عليك إلاّ نزلت فمشيت ، ورمى عنها ثيابها ، وبقيت في درع رقيق من قَزٍّ يستبين منه جميع جسدها . فمشت فقال : أقبلي . فأقبلت . ثم قال : أدبري . فأدبرت . والشيخ ينظر ، ثم أقبلت ، فإذا هي ببريق عين الشيخ من تحت السرير . فصاحت وقالت : افتضحت . وقعدت وتقنعت بيديها . فقام معاوية إليها ، وقال : مالك ؟ فقالت : رجل تحت السرير . فأدخل معاوية يده ، فأخذ برأسه ، فإذا شعرات ، فجعل لا يقدر أن يقبض على شعره ، فلما علم أنه شيخ كبير تركه ، ولبست ابنة قرظة ثيابها وانطلقت إلى بيتها ، وخرج الشيخ إلى معاوية فقال : ياأمير المؤمنين لينفعني عندك الصدق . قال : هيه ، فقصَّ عليه القصة . فقال : لا بأس عليك ، وجعل معاوية يضحك ويسائله [١٠٠/ب] فإذا أعرابي مُنْكَر[4] لا يسأله عن شيء إلاّ أخبره . فلما أصبح دعا معاوية خصياً له وقال : خذ بيد الشيخ إلى ابنة قرظة فقل لها : هذا الشيخ الذي تخلاّك

---

(١) هو عبد الله بن بريدة راوي الخبر .

(٢) أي ساعة منه . اللسان : هوا .

(٣) هي فاختة بنت قرظة ، انظر ترجمتها في « تاريخ ابن عساكر » تراجم النساء .

(٤) أي داه : فطن . اللسان : نكر .

البارحة ، وللخَلْوة نِحْلَة ، فأعطيه نِحْلته . فأخبرها فقالت للأعرابي : ماقصتك ؟ فقصَّ عليها القصة ، فأعطته وأوقرت راحلته ثياباً وغير ذلك وقالت له : لاتقيمن في هذه البلاد ، فإن رآك أحد بها نكَّلْت بك ، وخافت أن يقيم ، فكلما ذكره معاوية دعاه ، وذكر له ما كان . ثم قالت لغلامٍ : انطلق فاحمِلْه على الراحلة وما معه ، ثم انخسْ به حتى تخرجه مِنْ هذه الأرض . فانطلق الأعرابي وقد أصاب حاجته .

٢٣٧ ـ مَوْلى لشقيق أو ابن شقيق

من أهل البصرة .

كان بين شقيق بن عبد الله وبين عبد الله بن شقيق حِسٌّ[١] فأخذ له زياد ساجاً[٢] بثلاثين ألف درهم ، فبعث شقيق غلاماً إلى معاوية وقال : إن أتيتني منه بكتاب فأنت حر . فبلغ ذلك زياداً ، فأخذ بالرَّصد ، فقطع النهر بالسباحة وأتى معاوية ، فأخذ منه كتاباً إلى زياد بردّ ذلك المال ، وكان زياد بالكوفة ، وخليفته سَمُرَة بن جُنْدَب على البَصْرة ، فلما قَدِمَ على زياد كتب له إلى سَمُرة فقال : أصلحك الله ، عُتقت مرتين ، ولم أُعتق . قال : وكيف ذلك ؟ قال : أعتقني مولاي ، وأعتقني أمير المؤمنين ، وأقدم على سَمُرة فيقتلني . قال : أما والله إن كنت لأرجو أن أشتفي منك . قال : فكتب له إلى سَمُرة . فلما قدم زياد خيَّره شقيق أو ابن شقيق [بين][٣] ثلاثين ألفاً وبين آنية من فِضَّة ، فاختار الآنية . قال : فقدم تجار مِنْ دارِين[٤] فباعهم إياها بالعشرة ثلاثة عشر ، ثم لقي أبا بكرة فقال : ألم تر كيف غَبَنتهم ؟ قال : وكيف ؟ فذكر ذلك له . قال : أقسمت لتردُّنها ، فإني سمعت رسول الله ﷺ ينهى عن مثل هذا .

---

(١) أي شر . اللسان : حسس .

(٢) في الأصل : ساج ، والساج : الطيلسان . اللسان : سوج .

(٣) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٧/١٩ آ .

(٤) فرضة بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند . معجم البلدان . والفرضة : محط السفن . اللسان : فرض .

٢٣٨ ـ شيخ كان يُشَبَّه برسول الله ﷺ

كان معاوية يقوم لشيخٍ في منزله إذا دخل عليه [١٠١/أ] ، فقيل له : أتقوم لهذا الشيخ ، وأنت أمير المؤمنين ؟ ! قال : نعم ، لأني رأيت فيه مشابهاً من رسول الله ﷺ ، فأنا أقوم لذلك لاله .

قال : وهذا الرجل هو كابس بن ربيعة ، وهو في حرف الكاف .

٢٣٩ ـ رجل قاص

من أهل الأُرْدُنّ .

قال أبو عبيد الله :

كنا مع معاوية بالجابية ، وكان يخرج إليها إبان الْعُشْب ، وفينا رجل يقص علينا من أهل الأُرْدُن ، إذ قام رجل من ناحية الناس فقال : ألا أُخبركم بكَلِمٍ يهتز لها عرشُ الرحمن وشجر الْجَنَّة ؟ قلنا : بلى . قال : لاإله إلاّ الله وحدَه لاشريك له ، بيده الخير ، وهو على كلّ شيء قدير . يهتز لها عرش الرحمن وشجر الجنة . ثم قال في إثْر ذلك : سبحان الله وبحمده ، ولاحول ولاقوّة إلاّ بالله العلي الكبير ، أعوذ بوجه الله الكريم من عذابه الأليم .

٢٤٠ ـ رجل من تَيْم الله بن ثَعْلَبة

أوفد زياد إلى معاوية وفداً من أهل البصرة ، فيهم رجل من بني تيم الله بن ثعلبة من بكر بن وائل ، فلما دخلوا على معاوية قام التيمي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : ياأمير المؤمنين ، إن السامع المطيع لاحجة عليه ، وإن السامع العاصي لاحجة عليه[1] ، وإن الله إذا أراد بقوم خيراً وليَ أمرَهم علماؤهم ، وقضى بينهم فقهاؤهم ، وجعل الأموال في سُمَحائهم ، وإذا أراد بقوم سوءاً ، وليَ أمرهم سفاؤهم ، وقضى في الأحكام جهلاؤهم ، وجعل الأموال في بخلائهم . فأحْفَظَ معاوية . ثم دعا له على رؤوس الناس بعطية جزيلة . فقال : خذها ياأخا بني تَيْم[2] ، أبخيل لنا ؟ فقال : سبحان الله ، إذا لم تكن بخيلاً فأخاف أن تكون

(١) في هامش الأصل حرف (طـ) .

(٢) في الأصل : تميم ، وهو تصحيف .

مبذّراً ، أوَ لكل النّاس أعطيتَ كما أعطيتني ؟ قال :لا ، ولا يمكن هذا . فقال التيمي : فاجعل[1] نصيبي في هذا الفيء أكثر من نصيب رجل من المسلمين . ففرّق معاوية في ذلك الوفد مالاً عظيماً ، وأمرهم بالشخوص إلى بلدهم ، وكتب إلى زياد : لا تزال توجه إليّ الرجل بعد الرجل فيقف بين يدي مؤنّباً ، أوْلى لك[2] ، فلما قرأ زياد الكتاب [١٠١/ب] قال : عليّ نذر لأصلبن التيمي على أربع جذوع . ثم جَعل ينتظر قدومه يوماً يوماً ، ويعد له المراحل حتى انتهى التيمي إلى بعض المنازل ، فمات به . وبلغ زياداً موتُه ، فبعث إلى ابن أخ له من أهل البصرة فقال : عَمُّك الْحَرُوري يؤنّبُ أمير المؤمنين ؟ ! فقال التيمي : أيها الأمير ما استأمرتني فيه حين أردت توجيهه ، ولا ضمنت لك سقطة إن جاءت على لسانه ، ولقد انتخبته بعلمك واخترته برأيك ، فإن جاءتك فلا عليك بل على نفسه ، وبعد ، فمهما كنت صانعاً به ـ أيها الأمير ـ لو ظفرت به ، أهو أكثر من أن تقتله ؟ فقد قتله الله وكفاك أمره . فقال زياد : ياسَلْم ، انطلق به فاحتبسه الليلة حتى ينكّلَ به غداً على رؤوس الناس . فدفعه سَلْم إلى غلام له فقال : امضِ به إلى الحبس . فمضى به الغلام ، فلما كانوا في بعض الطريق أفلته الفتى وفرّ هارباً وأنشأ يقول : [من الطويل]

وأيقنت أني إن تلبثْتُ ساعة ... على باب سَلْم سار جسمي إلى قبري
جميعاً وشتّى مُدْرَجاً في عباءة ... فرأسي بعيدٌ وهو أقرب من شِبْر
وجاء البخاريون يبتدرونني ... عيون لهم خزر توقّد كالجَمْر
عكوف على الأبواب من يؤمروا به ... فليس براءٍ أهلُه آخر الدّهر
عشية يدعوهم دويد ومن يجب ... دويداً فقد لاقى العظيم من الأمر
ولله أيام أتين ثلاثة ... غلبن علينا القوم من كل ذي صبر
تحدر فيهن المنايا تحدراً ... كأن دماء القوم من راحهم تجري

وكان زياد تواعد الناس بالقتل في ثلاثة أيام ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، ودويد هذا رجل كان من البخاريين على عذاب زياد .

---

(١) كذا في الأصل ولعلها : فلا تجعل .
(٢) أي ويل لك .

٢٤١ ـ رَجُل من كَلْب

قتل رجل من الشَّام امرأته ، فأخذه[1] والدها فرفعوه إلى معاوية فلم يدرِ ما يقول فيها ، فأرسل أعرابياً من كلب إلى عليٍّ فأخبره خبرها فقال : إن شاء أهل المرأة أدّوا إلى الرجل ديته ثم قتلوه ، وإن أحبوا أخذوا من القاتل نصف الدِّيَة ، وإنما هما امرأتان برجل .

[١٠٢/آ] ٢٤٢ ـ رجل شاعر مِنْ كَلْب

أجرى معاوية الخيل وفيها فرس يقال له سالم ، فقال معاوية : [من الوافر]

رأيت لسالم خيراً وشراً ... فلا أدري لأيهما يصير

فقال رجل من كلب من البادية ، وكان له فرس في الحلبة يقال له المستنير : ائذن لي ياأمير المؤمنين أجبْك ، وأعطني الأمان . قال : فعلت . فقال له الأعرابي :

تصير إلى التي أشفقت منها ... إذا ما قيل جاء المستنير

فجاء فرس الأعرابي سابقاً . فقال له معاوية : ياأعرابي ، لقد جئت بفال له شأن . فأعطاه سبقه أربعة آلاف درهم .

٢٤٣ ـ رجل مِنَ المعَمَّرين

من أهل نَجْران .

قَدِمَ على معاوية رجل من نَجْران ، يقولون : له يوم قدم عليه مئتا سنة . فسأله عن الدنيا فقال : سنيات بلاء ، وسنيات رخاء ، يوم فيوم ، وليلة فليلة ، يولد مولود ، ويهلك هالك ، فلولا المولد بادَ الخلق ، ولولا الهالك ضاقت الدنيا بمن فيها ، فقال له : سل . **فقال : عمر مضى فتردّه وأجل حضر فتدفعه . قال : لاأملك ذلك ، قال : لاحاجة لي إليك . ثم قال : [من البسيط]**

---

(١) في الأصل : فأخذها ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٩/١٥٨ آ

استرزقِ الله خَيْراً وارْضَينَّ بـــــه ... فبينمـــا الْعُسْر إذَ دارَتْ مَيَـــاسير
وبينمـــا المرء في الأحيـــاء مُغْتبِـــطٌ ... إذ صـار رَمْساً تعفّيـــه الأعـــاصير
كأنـــــه لم يكن إلاّ لتـــــذكرةٍ ... والدَّهْر أهلكنـا منـه الـدَّهَـارير[1]

٢٤٤ ـ رجل شابٌّ من غَسَّان

قال الشَّعْبي : كان أول من سَمَرَ من الخلفـاء ، واتَّخـذ لـه أقوام معـاويـة ، وكان ملـك الروم في زمـانـه فوق بن مورق بن هرقـل بن قيصر بن فـوق بن مـورق بن الأصفر ، وكان معاوية يقول : ماأردت في الشـام شيئـاً قـط إلاّ ظننت أنـه معي ، وكان ملـك الروم يقول مثل ذلك . فسمر معاوية ليلة ثم أوى إلى فراشه فأَرِقَ فـامتنع منـه النوم [١٠٢/ب] فـأراده فلم يستطعْه حتى أسحر ، فسمع أصوات النواقيس فـآذتـه ، فلم يزل يتململ حتى أصبح ، فلمـا صلى الفجر وجلس أمر منادياً فنادى : من يبيعني نفسه ؟ فقال شابٌّ من غَسَّان : أنا ياأمير المؤمنين . قال : بكم ؟ قال : ثلاث ديات : دِيَة لي ، ودية أخلفها لأهلي ، وديـة أشتري لهم بها ضيعة . فأعطاه أربعة آلاف دينار ، ثم قال : قد أجلتك ثلاثاً فتهيأ وافرغ من حوائجـك ثم ائتني . ففعل ، فإذا كتاب بين يدي معاوية إلى ملك الروم فقـال : انطلق بهـذا إلى ملـك الروم ، فتدخل عليـه وهو جـالس على سريره وبطـارقتـه حَوْلَـه وتـاجـه على رأسـه ، فـإذا عاينته فضع كتابك وأدخل أصبعيك في أذنيـك ، فـأذِّن وقل : الله أكبر الله أكبر ، أشهـد أن لاإلـه إلاّ الله وأشهـد أن محمـداً رسـول الله ، حتى تفرغ . فخرج الْغَسَّـاني حتى دخـل عليـه ، وتاجه على رأسه ، وبطارقته عنده ، فوضع الكتاب ورفع صوته بـالأذان ، فـانتضوا سيوفهم وأقبلوا نحوه ، فوثب عن سريره يخصر حتى حال بينهم وبينه . قال : فـاستـدبرني واستقبلهم ثم قال : أُفٍ لكم ، كنت أظنه يقاس برأيكم فإذا رأيكم قد عجز عنكم ، ارجعوا ، فما رجعوا إلاّ بعد شر ، فلما رجعوا إلى مجالسهم قال : أتدرون ماقصـة هـذا ؟ قـالوا : لا . قـال : تجـدون معاوية أَرِق فسمع أصوات النواقيس فآذته ، وقد علم أن النَّصارى بالشَّام لهم أنصـاف منـازل

---

(١) الدهارير : أول الدهر في الزمان الماضي ، وقولهم : دهر دهارير أي شـديـد كقولهم ليلـة ليلاء . والأبيـات في اللسـان : (دهر) مـع اختـلاف في اللفـظ . وقـد نسبت إلى لعِتْيَر بن لبيـد الْعُـذْري . وقيـل : لخُريث بن جبلـة الْعُذْري .

المسلمين ، وأنصاف مساجدهم ، وقد عاهدهم على ذلك مَنْ هو أفضل منه من أهل دينه ، فلم يستطع نقضه فقال : من يبيعني نفسه ، فتجدون هذا البائس انتدب لذلك ، ولم يأخذ لنفسه ثمنها ؟ فوجهه وأمره بما سمعتم لتستحلوا قتله ويستحل هو بذلك قتل مَنْ بالشام مِنَ النصارى ، وهدم كنائسهم . قال الْغَسَّاني : والله ماعلمت ماأراد بي معاوية إلاّ تلك السَّاعة . قالوا : أيها الملك ، ماتصنع به ؟ قال : نحسن جائزته ، ونرد جواب كتبه ، فما أتت على معاوية إلاّ ثمانية وأربعون ليلة حتى عاد الْغَسَّاني ، فلما رآه معاوية قال [١٠٣/آ] : أَفْلَتَ وانْحَصَّ الذَّنَب[1] . قال : ياأمير المؤمنين ، عرضتني للقتل . قال : أما والذي لاإله إلاّ هو ، لو قتلك ماتركت فيما بين العريش إلى الفرات نصرانياً إلاّ قتلته ، ولا كنيسة إلاّ هدمتها ، ولكن اللَّعين كان أوفى بالذمّة .

٢٤٥ ـ رجل لُقِّب أُمَّ عَمَّار

خَطَب معاوية ـ وهو خليفة ـ فقال في خُطْبته ، ولم يتمّ البيت لأنه كان على المنبر : [من الطويل]

إذِ النَّاس ناسٌ والزَّمانُ بغِرَّة[2]

وأعاده ولم يتم البيت ، فظن بعض العامة أنه أشكل عليه البيت ، وأنه يريد من يتممه له . فقام وقال :

وإذْ أُمُّ عَمَّارٍ صديقٌ مُساعِفُ

فقال له : اسكت ياأم عَمَّار ، ماأردنا هذا منك .

قال : فبقي عليه لقباً ، فكان إذا مر بالصِّبيان صاحوا : ياأم عمار ياأم عمار ، حتى رُمي بالآجُرّ .

---

(١) مثل يضرب لمن أشفى على الهلاك ثم نجا . انظر اللسان : حصص . وفيه أفلت ، وهو وهم ، ومجمع الأمثال : ٧٠/٢ ، والمستقصى : ٢٧٤/١

(٢) البيت لأوس بن حجر ، وهو في ديوانه : ٧٤ . وفيه : بعزة . وفي اللسان : (سعف) بغِرّة . وأثبتها لأنها أعلى .

٢٤٦ ـ أَعْرابي

جرت له محاورة مع معاوية ، وحَلُمَ عنه .

خطب معاوية يوماً فقال : إن عاملاً لي[١] بمكان كذا كتب إليّ يذكر أن بني قُشَيْر كان منهم إليه أمر ، لهممت أن أجد من كان منهم في البر فأحمله في البحر في السفن ، ثم أحرقها عليهم فلا أبقي منهم أحداً . فقام إليه أعرابي ، عليه عباءة يرفعها من جانب ، وتسقط من آخر فقال : يامعاوية ، أما والله لو أردت ذلك لجاءك مئة ألف أمرد على مئة ألف أجرد فجعلوا صدرك تِرَسَةً[٢] لرماحهم فقال : اسكت أيُّها الغراب الأبقع[٣] . قال : إن الْغُرَاب الأبقع يحجّل إلى الرَّخَمَة البيضاء فينقُر رأسها ، ويستخرج دِماغها ، فيأكله . فأعرض عنه معاوية وأخذ في خُطبته ، فقال له عمرو بن العاص : ياأمير المؤمنين ، ماهذه الاستكانة ؟ ! أما رأيت ماقال لك ؟ ! قال : ياأبا عبد الله ، لنخلين بينهم وبين ألسنتهم ماخلُّوا بيننا وبين ملكنا .

٢٤٧ ـ رجل من كِنَانة

له محاورة مع معاوية .

[١٠٣/ب] خَطَبَ معاوية بن أبي سفيان فقال :

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين عثمان ولاّني بعض ماولاه الله عليه ، فوالله ماخنت ، ثم وليت الأمر فيما بيني وبين الله عز وجل ، فهل ترون خللاً ؟ فوثب رجل من كِنانة أو من بكر بنِ وائل فقال : نعم يامعاوية خللاً كخلل الْمُنْخُل . فقال : اقعد ، أقعد الله رجليك . كأني بك وقد ارتبطت عشرة أعنزٍ في مثل حافر عير معهن تيس تحتلبهن[٤] قال :

---

(١) في الأصل : له . والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٥٩/١٩ أ .

(٢) جمع تُرس . اللسان : ترس .

(٣) فيه سواد وبياض . اللسان : بقع .

(٤) كذا في الأصل ، وفي تهذيب ابن عساكر : ٢١٦/٦ . كأني أنظر إلى حَفْش بيتك بهيعة مربوطاً بطنب منه تيس ، وبطنب منه بهيمة ، تخفق فيه الريح بمثل جناح النسر ، بفنائه أعنز غبر درهن قليل ، تحلبهن في مثل فوارة حافر حمار . وانظر غريب الحديث للخطابي : ٥٢٨/٢ ـ ٥٢٩ .

والله ، إن قلت ذلك ، إن ثَمَّ لحسباً غير ذميم ، والله ماقتلت نَفْساً حراماً ولاأكلْت مالاً حراماً . قال : وأنّى لك أن تقتل نفساً حراماً أو تأكل مالاً حراماً ، أنت أذل وأخزى من ذلك ، اسكت ، دقّ الله فاك . قال : لا ، بل أذهب حيث لاأرى شخصك ولاأسمع صوتك . قال : أبعد وأبعد . قال : لئن طرت بك لأطيرَنّ بك طيرة بعيداً وقوعُها . قال الأعرابي : فهل إلاّ إلى الله ثم تقع يامعاوية ، وأنا أستغفر الله .

٢٤٨ ـ رَجُل لقي الْخَضِر عليه السَّلام

خرج رجل إلى معاوية ، فلقي الْخَضِر فقال له : لعلك تريد هذا الرَّجل ؟ قال : نعم . قال : فإذا أردت الدخول عليه فتوضأ ثم صَلِّ ركعتين ثم قل : اللهم اجْعَلْ بدوّ يومي هذا صلاحاً ، وأوسطه فلاحاً ، وآخره نجاحاً ، وأسألك باسمك الأحد الكبير المتعال : ثم سَلْ حاجتك .

فدخل الرَّجُل على معاوية ، ونسي أن يصنع ماأُمر به ، فلم يلتفت إليه معاوية ، فلما كان بَعْدُ صنع الذي أُمر به . فقال معاوية : سَحرتني والذي نفسي بيده ، لقد جئتني ومأريد أن أعطيك شيئاً . فأخبره بالذي قيل له . فأعطاه وأحسن إليه .

٢٤٩ ـ رجل أَقَام بباب مُعَاوية

وطال مُقَامه ثم أُذن له فقال : ياأمير المؤمنين ، انقطعت إليك بالأمل ، واحتملت جفوتك بالصَّبْر ، وليس لمقرب أن يأمن ولا لمباعد أن يأنس[1] ، وكلٌّ صائر إلى حظه من [١٠٤/آ] **رزق الله عَزَّ وجل . فقال معاوية : هذا كلام له مابعده ، فأمر بعهده له إلى فلسطين . فقال الرجل : [من الوافر]**

دخلت على معاوية بن حَرْب ... وكنت وقد يئست من الدخول
وما أدركت ما أمّلت حتى ... حللت محلّة الرجل الذليل

---

(١) كذا في الأصل ، ولعلها ييأس .

وأغضيتُ العيـون على قـذاهـا ولم أنظر إلى قـــال وقيـــل

٢٥٠ ـ رجل مِنْ كَلْب

دخل على معاوية فقال :

يا أمير المؤمنين ، إن لي في بيت مال المسلمين حَقّاً ولِيَ رحِم . فقال : أما ماذكرت فيما لك في بيت مال المسلمين فقد عرفناه ، وأما رَحِمُك فما هي ؟ قال : إن أُمَّ إلياس بن مُضَر كانت امرأة من كَلْب . فقال معاوية : وأبيك ، لقد متت برحم بعيدة . وعنده ابن عبَّاس ، فقال : لاتقلْ ذلك ياأمير المؤمنين ، فإني سمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول : إنَّ الله ليعذِّب على قطيعة الرَّحِم التي تلقاك إلى ثلاثين أباً ، فقال له : الله عليك ، لقد سمعته من رسول الله ﷺ ؟ قال : الله عليّ ، لقد سمعته من رسول الله ﷺ . قال : سل حاجتك . قال : مئة ألف أشتري بها داراً . قال : هي لك . قال : مئة ألف أقضي بها تجاراً . قال : هي لك . قال : مئة ألف أشتري بها عَقَاراً . قال : هي لك . قال ابن الأعرابي : ياأبه ، أبرمت أمير المؤمنين . قال : فنتف رأسه بيده ثم قال : اسكت ، إنما أمير المؤمنين كما قال خال بني جبار : [من الوافر]

نميل على جوانبه كأنّا إذا ملنا نميل على أبينا
نقلبه لنخبر حالتيه فنخبر منهما كرماً ولينا

٢٥١ ـ رَجُل مِنْ هَمْدان شَاعر

كان لمعاوية فَرَس يقال له البشير قد سبق عليه سوابق أهل الشَّام ، فقيدت إليه في خلافة عثمان أفراس العرب في حَلْبة استعد لها معاوية ، وقدم رجل من مَدَد هَمْدان ، فرأى النَّاس يحفِلُون[1] نحو الحَلْبة . فقال لهم : ماهذا ؟ فأُخبر فبادر [١٠٤/ب] إلى مُعَاوية بفرس له يقال له المستطير ، قدم راكبا عليه من اليمن فقال : أيها الأمير ، قدمت السَّاعة من

---

(١) أي يجتمعون ويحتشدون . اللسان : حفل .

شِبَام[1] على فرسي هذا ، وهو يعجبني ، فسمعتُ بهذه الْحَلْبة فأسرعت به . فقال له معاوية : فرسك مخبّل[2] وليس بمخبّل ، وهو بَعْدُ نضي[3] وجيٌّ[4] . فقال : أَنْشُدُك الله يـابن الكرام . فأمر بفرسه فختم وأُنفـذ مع الخيل إلى الْمِقْوَس[5] [و][6] قعـد معـاويـة يتشوّف لهـا ثم أنشـأ يقول : [من الوافر]

أخـــاف على البشير وأتقيـــه ... فمـــا أدري إلى مـــاذا يحـــور

فقال الْهَمْداني : أتأذن لي في الجواب ؟ قال : هاتِ . فقال : [من الوافر]

يحـور إلى التي أرجـو سنـاهـا ... إذا مـــاقيـل هـــذا المستطير

فضَحِكَ معاوية وصاح الناس : الخيل . الخيل ، وطلع المستطير فرس الْهَمْداني .

وكان معاوية جعل لمن سَبَق البشير أربعين أُوقية ذهب وفريضة في الشرف ، وفرائض لعشرة رجال من قرابته أو عشيرته . فشاطر معـاويـة الْهَمْـداني في فريضتـه ووفر عليـه السبق ، وفرائض عشرة من أهل بيته فقال الهمداني : [من الوافر]

ألا ليت الريـــاح إذا استطرت ... تبشر أهلنـــا كنفي شبـــام
بـأن المستطير [أَهَـلَّ][7] يهـوي ... أمـام الخيـل في جمـع السنـام
ولم يسكن وجـــاه بعـــد شهر ... وعشر سنين محتفر الظـــلام
فـأُبت بسبقـــه وعلـوت حـــداً ... على شرف الفرائض في الكرام

فبعث إليه معاوية ، فاشترى منه المستطير بـألف دينـار ، فسبق عليـه العرب أيـامـه كلّها .

---

(١) جبل عظيم بينه وبين صنعاء يوم وليلة : معجم البلدان : ٣١٨/٣

(٢) المخبل : الذي يمنعه وجعه من الانبساط في المشي . اللسان : خبل .

(٣) أي هزيل . اللسان : نضا .

(٤) وجي الفرس ، وهو أن يجد وجعاً في حافره . اللسان : وجا .

(٥) المقوس : الحبل الذي تصف عليه الخيل عند السباق . اللسان : قوس .

(٦) مابين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٠/١٩ آ .

(٧) مابين حاصرتين بياض في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س :١٦٠/١٩ آ

٢٥٢ ـ رَجُل استَسْقى به مُعَاوية

خَرَج معاوية يستسقي فجعل يقول : قم يافلان ، قم يافلان . فقيل له : إن في قرية كذا رجلاً مجاب الدَّعْوة . فأرسل إليه فأتى على حماره وهو مُسْبِطٌ[1] إداوةً له لئلا تأتي عليه حالة إلاّ وهو فيها متوضئ . فقال له معاوية : أردنا أن تستسقي [١٠٥/آ] لنا . فاستعفاه فلم يعفه ، فأتى إداوته فأحدث وضوءاً وصلّى ركعتين ، واستسقى وعزم على رَبِّه فقال : ارفعوا أيديكم . فما فرَّق بينهم إلاّ المطر حيث يصلي حتى جرى الماء من تحته . فأتاه أهل قريته فاحتملوه . فقال : اللهم ، إن معاوية أقامني مقام سُمْعة ورياء ، فاقبضني إليك . فقبض قبل الجمعة .

٢٥٣ ـ رجل مِنْ ولد خلف الْجُمَحي

كان مع معاوية بصفِّين ، وكان فارس أهلها ، والذي رد الأشتر عن معاوية بعدما غشيه .

دخل على معاوية فقال :

ياأمير المؤمنين ، إنا تركنا الحق عِيَاناً ، وعليٌّ بن أبي طالب يدعو إليه في المهاجرين والأنصار ، وبايعناك على ماقد علمت ، ثم طاعنت عنك أشدَّ أهل العراق بعد ماغشيك حتى إذا نلتَ ما رجوت وأمنت ماخفت ، جعلت الدَّهْرَ أربعة أيام : يوماً لسعيد بن العاص ، ويوماً لمَرْوان بن الحكم ، ويوماً لعمرو بن العاص ، ويوماً للمغيرة بن شعبة ، وصرنا لافي عير ولا في نفير ، ثم خرج من عنده وهو يقول : [من الطويل]

أظن قريشاً باعثي الحرب مرة ... عليك ابن هندٍ أو تجر الدواهيا
أيوم لمروانٍ ويوم لصهره ... سعيد ويوم للمغير معاويا ؟
ويوم لعمرو والحوادث جمة ... وقد بلغت منا النفوس التراقيا
أتنسى بلائي يوم صفين والقنا ... رواء وكانت قبل ذاك صواديا

---

(١) أي معلّق . اللسان : سمط .

أتنسى بـلائي يـوم صفين والقنـــا ... رواء وكانت قبـل ذاك صـواديـــا
أو الأشتر النخعي في مُرْجَحِنّـــــةٍ ... يمـانيـة يـدعـو ربيساً[1] يمـانيـا
وطـاعنت عنـك الخيـل حتى تبـددت ... بَـدَادِ بنـاتِ المـاء أبصرن بـازيـا
تركنـا عليـاً في صحـاب محمـد ... وكان إلى خير الطريقـة داعيـا
فلمـا استقـام الأمر من بعـد ميلـه ... وزُحـزح مـا تخشى ونلت الأمـانيـا
دعـوت الأُلى كانـوا لملكـك آفـةً ... وخِلْتَ مقـامي حيـةً وأفـاعيـا

فبعث إليه معاوية ، وعنده وجوه قريش فقال : يـا بن أخي ، إني مثلت بين تركي [١٠٥/ب] إيّاك وبين معاتبتك ، فوجدت معاتبتك أبقى لك ، وايم الله ، ماأخاف عليك نفسي ولكني أخاف عليك من بَعْدي ، فإني رأيتك رحب الذراعين بمساءة عمل شديد التقحم عليه ، فلتضق به ذَرْعك ، ولتقل عليَّ تقحمك ، فإنك لست كلما شئت تجد من يحمل سفهك . فخرج الفتى من عنده وقد استحيا وارتدع . وأنشأ معاوية يقول : [من الطويل]

أيـا من عَـذيري من لـؤي بن غـالب ... فنخشى كلبـاً كاشر النّـاب عـاويـا
فمـا لي ذنب في لـؤي بن غـالب ... سـوى أنني دافعت عنهـا الـدواهيـا
وأني لبست الجـــود والحلم فيهم ... وأنْ مَنْ رماهم بـالأذى قـد رمـانيـا
فـأصبحت مـا ينفـك صـاحب سوءةٍ ... يقـوم بهـا بين السماطين لاهيـا
فـإن أنـا جـازيت السفيـه بـذنبـه ... فمنهـا يميني أفردت من شماليـا
وإن أنـا لم أجـز السفيـه بـذنبـه ... لـوى رأسـه وازداد غيـاً تمـاديـا
فـولـيتهمّ أذني وكانت سجيتي ... ليـالي لم أملـك ولـو كنت واليـا
فكم قـائـل إمـا هلكت لقـومـه ... وقـائلـةٍ لاتبعـدنّ معـاويـا
وإني لكم عَـوْد[2] ذلـول مـوقر ... يقـل الأُلى ينهـاهم مـانهـانيـا
ألم أعف عن أهـل الـذنـوب وأُعطهم ... عطيـة من لايحسب المـال فـانيـا[3]

ثم دعا بالفتى فعقد له على بعض كور الشّام .

---

(١) الربيس من الرجال : الشجاع والداهية . اللسان : ربس .

(٢) العود : الجمل المسن وفيه بقية . اللسان : عود .

(٣) البيت مستدرك على هامش الأصل .

٢٥٤ ـ رَجُل

كان يَسْمُر عند معاوية ، فقال له ليلة : ألا أخبرك عن زوجتيّ ؟ قال : بلى . قال : ولدت إحداهما غلاماً ، والأخرى جارية ، فخرجت أم الغلام ترقصه وتقول : [من الرجز]

يـــاليتـــه قـــد راح في الغـــزيّ ... على جـــــــــواد مشرف عليّ
فـــــآب بـــــــالمغنم والسبيّ ... فـــــألحـــق الفقير بـــــالغنيّ

فردَّدتْ ذلك حتى أغضبت أُمَّ الجارية ، فخرجت بابنتها ترقصها وتقول : [من الرجز]

ومـــا عليَّ أن تكـــوني جـــاريـــهْ ... تمشـــط رأسي وتكـــون الفـــاليـــهْ
وترفـــع الفـــاضـــل من ردائيـــه ... حتى إذا مـــــابلغت ثمـــانيـــه
زوجتهـــا عتبـــة أو معـــاويـــه ... أصهـــار صـــدق ومهـــور غـــاليـــه

[١٠٦/آ] فضحك معاوية وقال : وأبيها ، إن عتبة ومعاوية عنها لمشغولان . وأمر لها بأربعة آلاف .

٢٥٥ ـ رجل مِنْ بني عُذْرة

أذن معاوية للناس يوماً فدخل فيهم فتى من بني عذرة ، فوقف بين السماطين وقال : [من الطويل]

مُعَـاويَ يـاذا الفضـل والحلم والعقـل ... وذا البر والإحســان والجـود والبـذل
أتيتـك لمـا ضـاق في الأرض مـذهبي ... وأنكرت ممـا قـد أصبتُ[1] بـه عقلي
ففرجْ ـ كـلاك الله ـ عني فـــإنني ... لقيت الـــذي لم يلقـــه أحـــد قبلي
وخذ لي ـ هداك الله ـ حقي من الذي ... رمـــاني بسهم كان أهـــونـــه قتلي
وكنت أرجّي عَـــدْلـــه إذ أتيتـــه ... فـــأكثر ترددي مـع الحبس والكبـل[2]
فطلقتهـا من جهـد مـاقـد أصـابني ... فهـــذا أمير المـؤمنين من الْعَـــدْل !

---

(١) في الأصل : أصيب ، وهو تصحيف .

(٢) الكبل : قيد ضخم . اللسان : كبل .

فقال معاوية : ماخطبك ؟ فقال : تزوجت ابنة عَمٍّ لي ، وكانت لي صِرْمة من إبل[1] وشويهات فأنفقت ذلك عليها ، فلما أصابتني نائبة الزّمان رغب عني أبوها ، وكانت جارية فيها الحياء والكرم فكرهت مخالفة أبيها ، فأتيت عاملك ابن أم الحكم فذكرت ذلك له ، وبلغه جمالها ، فأعطى أباها عشرة آلاف دِرْهم ، فتزوجها وأخذني فحبسني وضيَّق عليَّ ، فلما أصابني مس الحديد وألم العذاب طلقتها ، وقد أتيتك يا أميرَ المؤمنين وأنت غياث المحروب ، وسند المسلوب ، فهل مِنْ فَرَج ؟ ثم بكى وقال في بكائه : [من المجتث]

في القلب مني نـــــار ... والنـــار فيهـــا شنـــار
وفي فـــــؤادي جمر ... والجمر فيـــــه شرار
والجسم مني نحيـــل ... واللـــون فيـــه اصفرار
والعين تبكي بشجـــو ... فـــدمعهـــا مـــدرار
والحـــب داءٌ عســـير ... فيـــه الطبيب يحـــار
حملت منـــه عظيمـــاً ... فـــا عليـــه اصطبـــار
فليس ليلي ليـــــلاً ... ولانهـــاري نهـــار

فرَقَّ له معاوية ، وكتب له إلى ابن أم الحكم كتاباً عظيماً ، وكتب في آخره : [من البسيط]

ركبت أمراً عظيمـــاً لست أعرفـــه ... أستغفر الله من جـــور امرئ زاني
قـد كنت تشبـه صوفياً لـه كتب ... من الفرائض أو آيـــات فرقـــانِ
[١٠٦/ب] حتى أتاني الفتى العذري منتحباً ... يشكـــو إليَّ بحـــق غير بهتـــانِ
أُعطي الإلـــه عهـــوداً لاأخيس بهـــا ... أولا قربتُ[2] من دينٍ وإيمـــانِ
إن أنت راجعتني فيما كتبت بـــه ... لأجعلنـــك لحمـــاً بين عقبـــان
طلـقْ سعـاد وفـارقْهـا بمجتمـع ... أشهـدْ على ذاك نصراً وابن ظبيـان
فمـــا سمعتُ كما بُلِّغتُ من عجب ... ولا فعـالـك حقـاً فعـل إنسـانِ

فلما ورد كتاب معاوية على ابن أم الحكم ، تنفس الصُّعَداء وقال : وددت أن أمير

(١) يقال للقطعة من الإبل صرمة إذا كانت خفيفة . اللسان : صرم .
(٢) كذا في الأصل وهو مكسور العجز .

المؤمنين خلّى بيني وبينها سنة ثم عرضني على السيف ، وجعل يؤامر نفسه في طلاقها فلا يقدر ، فلما أزعجه الوفد طلّقها . ثم قال : ياسعاد اخرجي ، فخرجت شَكِلَة[1] غَنِجَة ذات هيئة وجمال ، فلما رآها الوفد قالوا : ماتصلح هذه إلاّ لأمير المؤمنين لا لأعرابي . وكتب جواب كتابه : [من البسيط]

لا تحنثن أمير المؤمنين فقد ... أوفى بعهدك في رفق وإحسان
وما ركبت حراماً حين أعجبني ... فكيف سُمِّيتُ باسم الخائن الزاني
وسوف تأتيك شمس لا خفاء بها ... أبهى البرية من إنس ومن جانِ
حوراء يقصر عنها الوصف إن وصفت ... أقول ذلك في سري وإعلاني

فلما وَرَد الكتاب على معاوية قال : إن كانت أعطيت حسن النَّغْمة مع هذه الصفة فهي أكمل البرية ، فاستنطقها فإذا هي أحسن الناس كلاماً ، وأكملهم شكلاً ودَلاً . فقال : ياأعرابي ، هل من سلوٍّ عنها بأفضل الرَّغْبة ؟ قال : نعم ، إذا فرّقت بين رأسي وجسدي . ثم أنشأ الأعرابي يقول : [من البسيط]

لا تجعلنّيَ والأمثال تضرب لي ... كالمستغيث من الرمضاء بالنار
اردد سعاداً على حيران مكتئب ... يمسي ويصبح في همٍّ وتذكار
قد شفّه قلق ما مثله قلق ... وأسعر القلب منه أي إسعار
والله والله لا أنسىٰ محبتها ... حتى أغيَّب في رَمْس وأحجار
كيف السلو وقد هام الفؤاد بها ... وأصبح القلب عنها غير صبّار

[١٠٧/أ] فغضب معاوية غضباً شديداً ، ثم قال لها : اختاري إن شئت أنا ، وإن شئت ابن أم الحكم ، وإن شئت الأعرابي . فأنشأت سعاد تقول : [من الرجز]

هذا ، وإن أصبح في أطمار ... وكان في نقص من اليسار
أكبر عندي من أبي وجاري ... وصاحب الدِّرْهم والدينار

أخشى إذا غدرت حَرَّ النّار

---

(١) الشَّكْل : غنج المرأة وغزلها وحسن دلها . اللسان : شكل .

فقال معاوية : خذها ، لابارك الله لك فيها ، فأنشأ الأعْرابي يقول : [من الرجز]

خلّـوا عن الطّريـق لـلأعرابي ألم ترقّـوا ـ ويحكم ـ لمـا بي ؟ !

فضحك معاوية ، وأمر لـه بعشرة آلاف درهم وناقـة ووطـاء ، وأمر بهـا فـأدخلت في بعض قصوره حتى انقضت عِدَّتُها من ابن أم الحكم ، ودفعها للأعرابي .

٢٥٦ ـ شَاعر

يقال له النَّجَاشي ، ويقال : هو أبو المهلهل الصُدَّائي

كان معاوية يُغزي أهل اليمن دون غيرهم ، فاجتمعوا بعكّـا ، فقـام رجل فقـال : [من الطويل]

ألا أيهـا النـاس الـذين تجمعـوا بعكا ، أنـاس أنتم أم أبـاعر

أتترك قيس ترتعي في بـلادهـا ونحن نسـامي البحر ، والبحر زاخر

فـوالله مـا أدري وإني لسـائـل أهَمْـدان تحمي ضيمهـا أم يُحـابر[1]

أم الشرف الأعلى من آولاد حمير بنـو مـالـك إن تستمرّ المرائر[2]

أأوصى أبـوهم بينهم أن تـواصلـوا وأوصى أبـوكم بينكم أن تـدابروا[3]

فجمع معاوية الناس على غزو البحر ، وأعـذر إليهم ، فقـال : مـاأغزيكم دون قيس ، إن معكم فيهم لكِنانة وخِنْدِف ، وإني أتيمن بكم وأعرف طاعتكم ، وقيس فيهم خلاف ونكد في غزو البحر .

٢٥٧ ـ شاعر مِنْ كَلْب

كان في زمن معاوية ، أو يزيد بن معاوية .

---

(١) يحابر هو أبو مراد ، يحابر بن مالك بن أدد . من مذحج . وقد سميت القبيلـة بـاسمـه . انظر جمرة أنسـاب العرب : ٤٠٦ . واللسان : حبر .

(٢) استمرت مريرته على كذا إذا استحكم أمره عليه وقويت شكيمته فيه وألفه واعتاده . اللسان : مرر .

(٣) الأبيات في الأغاني : ٢٠/٢٠٩ مع اختلاف في اللفظ .

قال حين رجعت قُضَاعة عن الانتساب إلى مَعَدّ بن عدنانِ وانتسبت إلى قحطان ، ينكر رجوعهم عن المعدّيّة : [من الوافر]

أَزَنَيْتمْ عجـــــوزكمُ وكانت عجـوزاً لا يُحَـلُّ لهـــا إزارُ
عجـوزاً لـو تَلَمَّسهـا يمـانٍ لـلاقى مثلمـــا لاقى يســـارُ

[١٠٧/ب] يسار هـذا : غلام[١] يعرف بيسار الكواعِب ، كان[١] غلام امرأة من العرب ، فراودها عن نفسها فقالت : أنظر في ذلك ، ثم عاودها وألحّ عليها ، فدعت بموسى فجدعت أنفه ، فضربت العرب المثل به .

٢٥٨ ـ شَاعِرٌ مِنْ طَيِّئ

وفَدَ على يزيد بن معاوية فقال : أتيتك سائلاً في حَمالة تَحمَّلْتُها[٢] عن قومي ، وأنا مِنْ فرسانهم ، فارددني لك شاكراً . فقال يزيد :اشدد فرسك بحزامه ، وأشجَّ فاه بلجامه ثم ارم به سواد الليل في عرض الجبل ، حتى يقضي الله عنك غُرْمَك أو يُحمد نجمك .

فقال الرَّجُل : والله لقد خِفْت هذا منك ولكني رجوت لين قلبك . وكان الرجل طويل القامة ، مختلف الخَلْق ، فأنشأ يزيد : [من البسيط]

يـاأيُّهـا الأعقف[٣] المـدلي بحجتـه لاحرمـة تبتغي عنـدي ولانسبـا
شُـدَّ الحـزام على حيزوم[٤] محتنـك ذي حـارك[٥] ولَبَـانٍ[٦] يملأ اللَّبـبـا[٧]
واعصِ العـواذل وارم الليـل عن عرض بـذي سبيب[٨] يقـاسي ليلـه خببـا

(١ ـ ١) مستدرك على هامش الأصل .

(٢) الحمالة : ما يتحمله الإنسان عن غيره من دية أو غرامة . اللسان : حمل .

(٣) الفقير المحتاج . اللسان : عقف .

(٤) الحيزوم : وسنط الصدر ما يضم عليه الحزام حيث تلتقي رؤوس الجوانح فوق الرُّهابة بحيال الكاهل . اللسان : حزم .

(٥) الحارك : أعلى الكاهل . اللسان : حرك .

(٦) في الأصل : ولبامى ، ولم أتبينها ، والمثبت من عندي بما يناسب السياق ، واللبان : ماجرى عليه اللبب من الصدر . اللسان : لبن .

(٧) اللبب : ما يشد على صدر الدابة أو الناقة يكون للرحل أو السرج يمنعها من الاستئخار . اللسان : لبب .

(٨) السبيب من الفرس : شعر الذنب والعرف والناصية . اللسان : سبب .

أقبُ[1] لم ينقب البيطـــار سرّتـــه ... ولم يـدجّـه[2] ولم يغمـز لـه عصبـا
حتى تصـادف مـالاً أو يقـال فتى ... لاقى التي تشعب الفتيـان فـانشعبـا

فقال الطائي : [من البسيط]

يـاأيهـا الملـكُ المحرومُ سـائلُـهُ ... لاتقطـع اليـومَ من سـؤالـك السببـا
قـد كنتُ آمـلُ سجـلاً من سجـالكم ... فـاليـوم لافضـةً أرجـو ولاذهبـا
فـاستفتـح القـول شـدَّ السرج معترضـاً ... جـور الفـلاة بطرف يمعـج الخببـا
لـو كان والـدك المـاضي حللتُ بـه ... ردَّ الجميـل وجلّى عني الكربـا
إن الحَريبَ إذا مـا ردَّ مطعمـه ... بُخْـل الخليفـة يـومـاً رده حَربـا

فتذمَّمَ يزيد[3] وأمر له بعشرة آلاف دِرْهم ، وكان يقول بعد ذلك : ودِدْت أني فديت ما كان من قولي - حتى تصادف مالاً - بما يثقل عليَّ ، لأني أعلم كم من فتى فارس كريم سيهلكه هذا البيت ويحمله على غير طباعه عند ضيق المعيشة . قال الرَّحَبي : ولقد صدق .

[4]وقيل : إن ذلك جرى مع ....[5]

فقال عبد الملك : ردوه ، فإني أحسبه قد عزم على شر . فَطُلِبَ فلم يوجد ، ولم يلبث عبد الملك أن خرج خارجيٌّ أسعر الأرض شراً ، وألزمه غرماً ثقيلاً ، وكتب إليه : ياأمير المؤمنين ، أنا الذي أمرتني ، فقبلت قولك .

فكتب إليه أمانة ، فقدم عليه ، وكان من أعراب[4] ....[5]

٢٥٩ - رجل من هَمْدان

من بني وَادِعة ، من أهل الأُرْدُنّ .

[١٠٨/آ] كان في الجيش الذي وجّهه يزيد بن معاوية من البُلْقاء لقتال أهل المدينة .

---

(١) الأقب : الضامر . اللسان : قبب .

(٢) أي لم يقطع ودجه . والتوديج في الدواب كالفصد في الناس . اللسان : ودج .

(٣) استنكف واستحيا : أساس البلاغة : ذمم .

(٤ - ٤) مستدرك على هامش الأصل .

(٥) كلمات غير واضحة لطمس في المخطوط .

قال : كنا مع مُسْلم بن عُقْبة مَقْدَمَه المدينة ، فدخلنا حائطاً بذي الْمَرْوة ، فإذا شابٌّ حسن الوجه والهيئة قائم يصلّي ، فطفنا في الحائط ساعة ، وفرغ من صلاته فقال لي : ياعبد الله ، أمِنْ هذا الجيش أنت ؟ قلت : نعم . قال : أترومون[1] ابن الزبير ؟ قلت : نعم قال : ماأحبُّ أن لي ماعلى ظهر الأرض كله وأني سرت إليه ، وماعلى ظهر الأرض اليوم أحد خير منه . قال : فإذا هو عبد الملك بنُ مروان ، فابتلي به حتى قتله في المسجد الحَرَام .

٢٦٠ - حَرَسيٌّ لمعاوية

قال : قدم على معاوية بطريق من الرُّوم يعرض عليه جزية الروم عن كل مَنْ بأرض الروم من صغير وكبير ، جزية دينارين دينارين إلاّ عن رجلين : الملك وابنه ، فإنه لا ينبغي للملك وابنه أن يجزيا . فقال معاوية - وهو في كنيسة من كنائس دمشق - : لوصببتم لي دنانير جزية حتى تملؤوا هذه الكنيسة لا يجزي الملك وابنه ماقبلتها منكم . فقال الرومي : لاتماكرني ، فإنه لا يماكرني أحد مكراً إلاّ ومعه كذب . فقال معاوية : أراك تمازحني ! فقال الرومي : إنك اضطررتني إلى ذلك ، غزوتني في البر والبحر والصيف والشتاء ، أما والله يامعاوية ماتغلبونا بعدد ولا عُدَّة ، ولوددت أن الله جمع بيننا وبينكم في مرج ثم خَلّى بيننا وبينكم ، ورفع عَنّا وعنكم النَّصْر حتى ترى . قال معاوية : ماله قاتله الله ؟ إنه ليعرف أن النصر من عند الله[2] .

٢٦١ - مولى ليزيد بنِ مُعَاوية

حدث عن عائذ الله رجل مِنْ أهل الشّام عن أبي ذَرٍّ قال :

قلت : يارسول الله ، أي الأنبياء كان أوّل ؟ قال : آدم . قلت : يانبي الله ، ونبياً كان ؟ قال : نعم ، جَبَل الله تربته ، ونفخ فيه من روحه ، وخلقه بيده ، وكلّمه قِبَلاً[3]

---

(١) في الأصل : أترمون ، وهو تصحيف .

(٢) مرّ هذا الخبر ص /٥٤/ من هذا الجزء .

(٣) أي عياناً ومقابلة ، لامن وراء حجاب ، ومن غير أن يوليَ أمره أو كلامه أحداً من ملائكته . النهاية : قبل .

٢٦٢ ـ رجل مِنَ الْيَمامة

كان باليمامة رجلان أبناء عَمٍّ ، فكثر مالهما فوقع بينهما ما يقع بين الناس ، فرحل [١٠٨/ب] أحدهما عن صاحبه ، قال : فإني ليلة قد ضجرت برعي الإبل والغنم إذ أخذت بيد صبي لي ، وعلوت الجبل ، فإنا كذلك إذ أقْبل السَّيْل ، فجعل مالي يمر بي ولاأملك منه شيئاً حتى رأيت ناقة لي قد علق خِطامها بشجرة فقلت : لو نزلت إلى هذه فأخذتها لعلي أنجو عليها أنا وابني هذا . فنزلت فأخذت الْخِطام وجذبها السيل ، فرجع عليّ غصن الشجرة فذهب بإحدى عينيّ ، وأفلت الخطام من يدي ، فذهبت الناقة ، ورجعت إلى الصبي فوجدته قد أكله الذِّئْب ، فأصبحت لاأملك شيئاً فقلتُ : لو ذهبت إلى ابن عمي لعله يعطيني شيئاً . فمضيت إليه فقال لي : قد بلغني ماأصابك ، والله ماأحب أنه أخطأك . فكان ذلك أشد عليّ مما أصابني . فقلت : أمضي إلى الشَّام فأطلب . فدخلت دمشق والناس يتحدَّثون أن عبد الملك بن مروان أُصيب بابنٍ له فاشتدَّ جزعه عليه . فأتيت الحاجب فقلت : إني أحدِّث أمير المؤمنين بحديث يعزِّيه عن مصيبته هذه . فاستأذن له ، فدخل فحدَّثه فقال : قد عزَّيتني بمصيبتك عن مصيبتي . وأمر له بمال . قال : فعدت وتراجعت حالي[1] .

٢٦٣ ـ شيخ كَلْبي

قال : سمعت عبد الملك بن مروان يقول :

لولا أن أمير المؤمنين مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة ، ماتركت من ولد طلحة أحداً إلاّ قتلته بعثمان بن عفَّان .

---

(١) على هامش الأصل : قدم على الوليد ، [وإنه لما حدث] . وقيل : إنه لما حدث بذلك الوليد قال : انطلقوا به إلى عروة بن الزبير ليعلم أن في الناس من هو أعظم مصيبة منه . وقد وردت القصة نفسها في ترجمة رجل من بني عبس ، إلاّ أنه قدم على الوليد بن عبد الملك . انظر تاريخ ابن عساكر س : ١٦٧/١٩ آ . وما بين حاصرتين تكرار في الأصل .

٢٦٤ ـ أَعْرابي مِنْ كَلْب

كان عبد الملك بن مروان قد ولّى صدقات كلب رجلاً من بني أُمية ، وكانت الروم قد نزعته[١] ، وكان أشقر عَصْباً[٢] فدخل أعرابي جَلْف جاف على عبد الملك في خِفَّة الناس فقال : ياإنسان ، إنك مُدبر[٣] مربوب[٤] قال : أجل ، فما تشاء . قال : احتجبت بهذه الْمَدَرَة[٥] ، ووليت خطابنا أصهب عصباً كالقِرْعَوْس ، طُمْطُمانياً أَطُوماً كأن وجهه جُهْوَة قرد قد قُشر بَصْرُها ، وكأنّ فاه سُرْم[٦] أَتان قد قاشها عَيْر[٧] فهي تَرْمُز ، إن كَشَرْتَ بَسَرَ ، وإن **خاطبت نهر ، وإن بالغت زَبَر[٨] فلا الكلام مدفوع [١٠٩/آ] ولا القول مسموع ، ولا الحق متبوع ولا الجَوْر مردوع ، ولنا ولك مقام فيه يُنَصُّ الْخِصام[٩] ، وتزحف الأقدام ،** وينتصف المظلوم ، ويَنْعَشُ[١٠] المهضوم ، هاإن ملكك هناك زائل ، وعزك حائل ، وناصرك خاذل ، والحاكم عليك عادل . فاكبأنّ عبد الملك ، وتضاءلت أقطاره ، وترادفت عبراته في صدره . ثم قال : لله أبوك ، أي ظلم نالك منا حتى أجاءك إلىٰ هذا المقال . قال : ساعيك في السماوة[١١] ، نهاره لهو ، ورأيه لغو ، وغضبه سطو ، يجمع المناقط ، يحتجن المشايط ، ويستنجد العمارط . فأمر عبد الملك بصرف العامل .

نفسر ذلك : الْعَصب : الصَّمَم[١٢] . والْقِرْعَوْس : والد البُخْتِيَّة وهو لا ينجب

---

(١) أي أبعدته .

(٢) في الأصل : عضباً وهو تصحيف .

(٣) ميت . من دابر الرجل : مات . اللسان : دبر .

(٤) أي مملوك لله . اللسان : ربب .

(٥) المدرة : المدينة الضخمة . اللسان : مدر .

(٦) السرم : الدبر . اللسان : سرم .

(٧) الحمار : اللسان : عير .

(٨) انتهر . اللسان : زبر .

(٩) أي يظهر . اللسان : نصص .

(١٠) أي يرفع . اللسان : نعش .

(١١) بادية بين الكوفة والشام . معجم البلدان : ٢٤٥/٣

(١٢) رجل صمم . هو الشديد الصلب ، وقيل المجتمع الخلق . اللسان : صمم .

ولا ينفع[1] . والطُّمْطُماني : الأعجم . والأطوم : الذي لا يَفهم ولا يُفهم ؛ أخذ من جلد الأطوم : وهي دابة صليبة الجلد . وقيل : هي السُّلَحْفاة . وجُهْوَة قِرد : دُبْره وما ولاه ، وكذلك هو لكل ذي أربع ، وربما استعمل في الناس . وقشر بَصْرها : الْبَصْر : قِشرة على كل شيء . وقاشها : أي نزا عليها . والتَّرمُّز : التحرك . والمشايط : الواحد : مشياط ، وهو الذي يسرع إليه السمن . والمناقط : المتفرقة ، ونقط هذا : أي فرّقه . والعمارط : واحدها عُمْرُوط : وهو الذي لا يرى شيئاً إلاّ اخْتَلَسه ، وهو اللِّص ، والواني الوغد[2] . واكبأن : دخل بعضه في بعض . وتضاءلت : أي تصاغرت . والأقطار : النواحي . وأجاءك : أي اضطرّك .

٢٦٥ - رَجُل مِنْ ولد عثمان بنِ عَفَّان

وفد على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أمير المؤمنين ، رأيت في يومي هذا عجباً . كنت في الصَّيد ، فبينا أنا بقفرة من الأرض إذ رأيت شخصاً سقط حاجباه على عينيه ، يتوكأ على عَنَزَةٍ[3] معه . فقلت له : مَنِ الشيخ ؟ فقال : امضِ لشأنك ودعِ السؤال عما لا أَرَب لك في علمه . فازددت لما قال ذعراً ، فقلت له :أتروي من شعر العرب شيئاً ؟ قال : نعم ، وأقول كما قالوا : قلت : نحو ماذا ؟ فأنشدني : [من البسيط]

[١٠٩/ب] أقول والنجم قد مالت أواخِرُهُ ... إلى المغيب تبيَّنْ نَظْرَةً حار
ألمحةٌ من سَنَا بَرْق رأى بصري ... أم وجه نُعْمٍ بدا لي أم سَنَا نار
بل وجْهُ نُعْمٍ بدا والليلُ مُعتكِرٌ ... فلاح من بين أثواب وأستار[4]

قال : وكنت يا أمير المؤمنين أعرف الشعر لهادر صاحب نابغة بني ذبيان فقلت : سبقك أخو ذُبيان إلى هذا . فضحك ثم قال : بلفظي كان ينطق ، أنا هادر بن ماهر . ثم اعتمد على عنق فرسي وقال : ذكرتني صباي . قلت : هذا الشعر من أربع مئة سنة . ثم أنشد : [من المتقارب]

---

(١) في اللسان : القرعوس : الجمل الذي له سنامان . قرعس .

(٢) على هامش الأصل حرف « ط » .

(٣) العنزة : عصا في قدر نصف الرمح أو أكثر شيئاً فيها سنان مثل سنان الرمح . اللسان : عنز .

(٤) الأبيات في ديوان النابغة الذبياني : ٢٣٥ وفيه : أبواب بدل أثواب ، وهو تصحيف .

وصلتُ القيـــان بعهـــد المسيـح فـــأظهرن هَجْراً بقـول قبيـحِ
وذاك لأني حنيت العصـــــا وأبدى الزمـان لصحبي كلوحي
فمن لي بـوجـــه ولاليس لي[1] بـدا لا بـوجـه صبيـح مليـح

ثم نظرت . فإذا الأرض منه بلقع . قال عبد الملك : لقد رأيت عجباً .

٢٦٦ ـ قُضَاعي

وفد على عبد الملك ناس من قُضَاعة . فقال رجل منهم.: [من الكامل]

والله مـا نـدري إذا مـا فـاتنـا طلب إليـك من الـذي نتطلب
ولقـد ضربنـا في البـلاد فلم نجـد أحـداً سـواك إلى المكارم ينسب
فـاصبر لعـادتنـا التي عـودتنـا أوْ لا ، فـأرشـدنا إلى مَنْ نـذهب

فأمر له بألف دينار .

ثم وفد عليه فقال : [من الطويل]

وربي[2] الـذي يـأتي من الخير إنـه إذا فعـــــــل المعروف زاد وتما
وليس كبـــانٍ حين تمَّ بنـــاؤه تتبُّعَـه بـالنقض حتى تهـدمـا

فأعطاه ألفي دينار . ثم وفد عليه فقال : [من الطويل]

إذا استعـزروا كانـوا معـازير بـالنـدى يكرّون بـالمعروف عـوداً على بَـدْء

[3] فقال : أحسنت . وأعطاه أربعة آلاف دينار[3] .

---

(١) كذا في الأصل ، ولم يظهر لي المعنى .
(٢) في الأصل : يارب ، ولا يستقيم الوزن .
(٣ ـ ٣) مستدرك على هامش الأصل .

٢٦٧ ـ أَعْرابي وَفَدَ على عبد الملك بنْ مَرْوان

فسلَّم عليه ، ثم قال : مرت بنا سنون ثلاثة : أما إحداها[1] فأكلت المواشي ، وأما [١١٠/آ] الثانية فأنضلتِ اللحم ، وأما الثالثة فخلصت إلى العظم ، وعندك مال ، فإن يكن لله فأعط عباد الله ، وإن يكن لك فتصدقْ علينا ، إن الله يجزي المتصدِّقين . قال : فأعطاه عشرة آلاف درهم ، ثم قال : لو كان الناس يحسنون أن يسألوا هكذا ما حَرَمْنَا أحداً .

٢٦٨ ـ أَعْرابي دخل على عَبْد الملك

فقال عبد الملك : ياأعرابي ، تمنّه . فقال : العافية ياأمير المؤمنين . فقال : ثم ماذا ؟ قال : ثم رزق في دَعَة ليس لأحد عليَّ فيه مِنَّة إلاّ الله ، ولا لله عليَّ فيه تَبِعة . قال : ثم ماذا ؟ قال : الخمول ، فإني رأيت السُّوء إلى ذي النّباهة سريعاً .

٢٦٩ ـ رجل مِنْ بني عُذْرة

صنع عبد الملك بن مروان طعاماً فأكثر وأطاب ، ودعا إليه الناس فأكلوا فقال بعضهم : ماأطيبَ هذا الطّعام ، ما رأى أحد أكثر منه ولا أطيب ، فقال أعرابي من ناحية القوم : أما أكثر فلا ، وأما أطيب فقد أكلت أطيب منه . فطفِقوا يضحكون من قوله . فأشار إليه عبد الملك ، فأُدنيَ منه فقال : ماأنت بمحقٍ فيما تقول إلاّ أن تخبرني بما تبين به صدقك . فقال : نعم ياأمير المؤمنين ، بينا أنا بهَجَر[2] في تراب أحمر في أقصى حجر إذ توفي أبي ، وترك كلاًّ وعيالاً وكان له نخل ، وكان فيه نخلة لم ينظر الناظرون إلى مثلها ، كأنّ ثمرها أخفاف الرِّباع[3] لم ير قط أغلظ لِحاء ولا أصغر نوًى ، ولا أحلى حلاوة منها ، وكانت تطرقها أتان وحشية قد ألفتها ، تأوي بالليل تحتها ، فكانت تثبت رجليها في أصْلها ، وترفع يديها ، وتقطع بفيها ، فلا تترك بها إلاّ النبذ والمتفرّق ، فأعظمني ذلك ووقع مني كلّ موقع ، فانطلقت بقوسي وأسْهُمي ، وأنا أظن أني أرجع من ساعتي ، فكثت يوماً وليلة

(١) في الأصل : إحداها .

(٢) بلد معروف بالبحرين . انظر معجم البلدان : ٣٩٣/٥

(٣) يقال للذكر من الإبل إذا طلعت رباعيته : رباع . اللسان : ربع .

لا أراها ، حتى إذا كان السَّحَر أقبلتْ فتهيأتْ لها فرشقتها ، فأصبتها وأجهزت عليها ، ثم عمدت إلى سَرَّتها[1] فاحتززتها ، ثم عمدت إلى حطبٍ جَزْل [١١٠/ب] فجمعته إلى رَصَفٍ وعمدت إلى زَنْدي فقدحت ، وأضرمت النَّار في ذلك الحطب ، وألقيت سَرَّتها فيها ، وأدركني النوم فلم يوقظني إلاّ حَرُّ الشمس في ظهري ، فانطلقت إليها وكشفتها ، وألقيت ماعليها من قذى ورماد ، ثم قلبت مثل المُلاءة البيضاء ، فألقيت عليها من رُطَب تلك النخلة المُجَزَّعة[2] والمُنَصَّفة فسمعت لها أطيطاً[3] كتداعي عامر وغَطَفَان . ثم أقبلت أتناول الشحمة واللحمة فأضعها بين الترتين ، فأهوي بها إلى فمي فمَ أحلف أني ماأكلت طعاماً قط مثله ؟ فقال له عبد الملك : لقد أكلت طيباً ، فممن أنت ؟ قال : أنا رجل جانبتني عنعنة تميم[4] ، وكَشْكَشَة ربيعة[5] ، وحوشي أهل اليمن وإن كنت منهم . قال : فمن أيهم أنت ؟ قال : من أخوالك من عُذْرة . قال : أولئك فُصَحاء النَّاس ، فهل لك عِلْم بالشِّعر ؟ قال : سلني عما بدا لك . قال : أي بيتٍ أمدح ؟ قال : قول جرير : [من الوافر]

أَلَسْتُمْ خيرَ مَنْ ركِبَ المطـــايـــا وأنـــدى العـــالمين بطُـون راحِ[6]

قال : وجرير في القوم . فرفع رأسه وتطاول لها . قال : فأي بيت أفخر ؟ قال : قول جرير : [من الوافر]

إذا غضبت عليـــك بنـــو تميمٍ حَسِبْتَ النَّـــاسَ كلَّهم غِضـــابـــا[7]

فتحرَّك جرير .

ثم قال : أي بيت أهجا ؟ قال : قول جرير : [من الوافر]

---

(١) في الأصل : صرتها .

(٢) إذا بلغ الإرطاب ثلثيها . اللسان : جزع .

(٣) الأطيط : صوت الرحل والإبل من ثقل أحمالها . اللسان : أطط .

(٤) إبدالهم العين من الهمزة كقولهم : عن يريدون أن . اللسان : عنن .

(٥) لغة لربيعة ، يجعلون الشين مكان الكاف ، وذلك في المؤنث خاصة ، فيقولون : عليش ومنش وبش . اللسان : كشش .

(٦) البيت في ديوانه : ٩٨

(٧) البيت في ديوانه : ٧٨

فَغُضَّ الطَّرْفَ إنـــــــــك من نُمَيْرٍ فـلا كَعْبـــاً بَلَغْتَ ولا كـلابـــا[1]

قال : فاستشرف لها جرير .

قال : فأي بيت أغزل ؟ قال : قول جرير : [من البسيط]

إنَّ الْعُيـون التي في طَرْفِهـــا حَـوَرٌ قتلنَنـــا ثُمَّ لم يُحْيِينَ قَتْـلانـــا[2]

قال : فاهتزَّ جرير وطَرب . ثُمَّ قال : أي شيء قالتـه العرب أحسن تشبيهاً ؟ قـال : قول جرير : [من الطويل]

سَرَى نَحْـوَهم لَيْـلٌ كأنَّ نجـومَـــهُ قنـاديـلَ فيهنَّ الـذُّبَـال الْمُفَتَّـلُ[3]

فقال جرير : جائزتي ياأمير المؤمنين للعُذْري . فقال عبد الملك : ولـه مثلها من بيت المال ، ولك جائزتك ياجرير لاننقص منها شيئاً . وكانت جـائزة جرير أربعـة آلاف دِرْهم وتوابعها من الْجِلاَّن[4] والكسوة . فخرج الْعُذْري بثانية آلاف درهم ورِزْمة ثياب .

[١١١/آ]

٢٧٠ - رجل فصيح !

قال الزُّهْري : دخل رجل على عبد الملك فقال له : كم عطاؤك ؟ قـال : مئتي درهم . قال : في كم ديوانك ؟ قال : عشرون ديناراً[5] . قـال : أمـا علمت أني قـد أمرت أن لا يتكلَّم أحد إلاّ بـإعراب ؟ قـال : مـاعلمت ذلـك يـاأمير المؤمنين . قـال : فمن العرب أنت أم من الموالي ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، إن تكن العربية آباءً فلست منهـا ، وإن تكن لسـانـاً فـإني منها . قال : صدقت ، قـال الله عز وجل ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِين ﴾[6] فقـام الرَّجل . فقـال عبد الملك : يازُهري ، ماناظرني أحد [بمناظرة][7] إلاّ عَلَوْته فيها خلا هذا الرجل .

(١) البيت في ديوانه : ٧٥

(٢) في الديوان : ٥٩٥ ، مع اختلاف في اللفظ .

(٣) في الديوان : ٤٥٦

(٤) الجل من المتاع : القطف والأكسية والبسط ونحوه . اللسان : جلل . .

(٥) نصب فيما الرفع فيه أصح ، ورفع ماجره أصح .

(٦) سورة الشعراء : ١٩٥/٢٦

(٧) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٥/١٩ آ .

٢٧١ ـ رجل

دخل على عبد الملك بن مروان وهو يتغدّى فقال : هلمَّ إلى الغداء . فقال : ما فيَّ فضل . فقال عبد الملك : ماأقبح بالرجل أن يأكل حتى لا يكون فيه فضل . فقال : ياأمير المؤمنين ، عندي مستزاد ولكني أكره أن أصير إلى الحالة التي استقبح أمير المؤمنين .

٢٧٢ ـ رجل أعْرابي

دخل على عبد الملك بن مروان وهو يأكل الْفَالوذج[1] فقال : يابن عم ، ادْنُ فَكُلْ مِنْ هذا الفالوذج ، فإنه يزيد في الدِّماغ . قال : لو كان كما يقول أمير المؤمنين كان رأسه مثل رأس الْبَغْل .

٢٧٣ ـ رَجُلٌ

وعظ عبدَ الملك بن مروان . قال له عبد الملك : تكلَّم . قال : بِمَ أتكلم وقد علمتُ أن كل كلام يتكلم به المتكلم عليه إلاّ ما كان لله ؟ فبكى عبد الملك ثم قال : لم يزل الناس يتواعظون ويتواصون . فقال الرجل : ياأمير المؤمنين ، إن للناس في القيامة جولة ، لا ينجو من غصص مرارتها ومعاينة الردى فيها إلاّ مَنْ أرضى الله بسخط نفسه . فبكى عبد الملك وقال : لا جَرَم ، لأجعلن هذه الكلمات مثالاً نُصْب عيني ماعشت .

٢٧٤ ـ رجل

من شُعَراء البادية عَشِقَ ابنة عمه وأَمَلَ أن يتزوّجها ، فأصابتهم حَطْمَة[2] أفسدت المال وغيَّرت الحال ، في خلافة عبد الملك بن مروان ، فارتحل أهلها إلى بعض مدائن الشام [١١١/ب] وكثر خُطَّاب الجارية ، وبُذل لها الرَّغائب ، فبلغ ذلك الأعْرابي ، فأقبل على

(١) الفالوذ من الحلواء : هو الذي يؤكل ، يسوّى من لب الحنطة . فارسي معرب . قال يعقوب : ولا يقال الفالوذج . اللسان : فلذ .

(٢) أي سنة وجَدْب . اللسان : حطم .

قَعُود[1] له ، وأغذَّ السير ، فَعَطِبَ[2] قعوده ، فلم يبق معه إلاّ حِلْسه[3] وقِتْبه ، فأتاهم فذكر قرابةً وشرفاً فقالوا : المال أحب إلينا للحال التي نحن عليها . قال : أي قوم ، أمّا إذْ أبيتم فأجِّلوني شهراً أو شهرين ، فإن جئتكم بما تحبون وإلاّ فأنتم من وراء ماتريدون .

وأتى باب عبد الملك فأقام ببابه شهراً لا يصل إليه ، ثم أُذن له فدخل وهو يقول : [من البسيط]

ماذا يقول أمير المؤمنين لمن ... أدلى إليك بلا قُرْبى ولا نسب
مدلّه عقله من حب جارية ... موصوفة بكمال الدّلّ والأدب
خطبتها إذ رأيتُ الناس قد لهجوا ... بذكرها ، والهوى يدعو إلى العطب
فقلت لي حسب عالٍ ولي شرف ... قالوا الدَّراهم خير من ذوي الحسب
قالوا نريد ألوفاً منك أربعة ... ولست أملك غير الحِلْس والقَتَب
فالنفس تعجب لَمَّا رمت خطبتها ... مني ، وتضحك إفلاسي من العجب
لو كنت أملك مالاً أو أحيط به ... أعطيتهم ألف قِنْطار من الذهب
فامننْ عليّ أمير المؤمنين بها ... واجمع بها شمل هذا البائس العَزَب
فما وراءك بعد الله مُطَّلَبٌ ... أنت الرجاء ومنهى غاية الطلب

فأمر له عبد الملك بعشرة آلاف دِرْهم ، وما يصلح للولية .

زاد في أخرى مثلها : ورجع إلى الشيخ فتزوّج بابنته .

---

(١) القعود من الإبل ماأمكن أن يركب وأدناه أن تكون له سنتان ثم هو قعود إلى أن يثني فيدخل في السنة السادسة ثم هو جمل . اللسان : قعد .

(٢) هلك أو انكسر . اللسان : عطب .

(٣) كل شيء ولي ظهر البعير والدابة تحت الرحل والقتب والسرج ، وهو بمنزلة المرشحة تكون تحت اللبد . اللسان : حلس .

٢٧٥ ـ رجل مِنْ غَسَّان

دخل على عبد الملك بن مروان فكلَّمه في حوائجَ قضاها له ، فقال : أتأذن لي يا أمير المؤمنين في تقبيل يدك ؟ فقال : مَهْ ، أما علمت أنها من العرب مذَلَّبة ، وهي من العجم خُدْعة ؟ ..

٢٧٦ ـ رجل مِنَ العراق

نَصَبَ عبد الملك موائد يُطعم الناس ، فجلس رجل من العراق على بعض الموائد ، فنظر إليه خادمٌ [١١٢/آ] عبد الملك فأنكره ، فقال له : أعراقيٌّ ؟ قال : نعم . قالَ : فجاسوس ؟ قال : كلا ، دعني أتهنّأ بزاد أمير المؤمنين . ثم إن عبد الملك وقف على تلك المائدة فقال : من القائل : [من الوافر]

إذا الأَرْطى[١] توسَّد أَبْرَدَيْه[٢] خدودُ جوازئٍ[٣] بالرَّمْل عِينِ[٤]

وما معناه ؟ ومَنْ أجاب فيه أجزناه ، والخادم يسمع . فقال العراقيُّ للخادم : تحب أن أشرح لك مَنْ قائله ؟ وفيم قاله ؟ قال : نعم . قال : يقوله عَديّ بن زيد في الخمر . فقال الخادم : ياأمير المؤمنين ، أنا أجيبك . قال : قل . قال : يقوله عدي بن زيد في الخمر . فتبسم عبدُ الملك . فقال له الخادم : أخطأت أم أصبت ؟ قال : بل أخطأتَ . قال : يا أمير المؤمنين ، هذا العراقي لقَّنَنيه . فقال عبد الملك : أنت لقَّنْتَ هذا الخادم ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين . قال : فخطأ لقنته أم الصواب ؟ قال : بل الخطأ قال : ولِمَ ؟ قال : لأني كنتُ متحرِّماً بمائدتك ، فوقف عليَّ فقال : أعراقيٌّ أنت ؟ قلت : نعم . قال : أنت جاسوس ؟ فقلت : دعني ، لاتنغِّصْني بزاد أمير المؤمنين . قال : فكيف الصَّواب ؟ قال : يقوله شمَّاخ بن ضِرَار الثَّعْلبي في بقر الوحش ، وقد تجزأت بالخضير عن الماء . قال : صدقت . فأجازه ، ثم قال : سَلْ حاجتك ؟ قال : تنحي هذا عن بابك فإن فيه مشينة .

---

(١) من شجر الرمل . اللسان : رطا .

(٢) الأبردان : الظل والفيء ، سميا بذلك لبردها ، والأبردان أيضاً : الغداة والعشي . اللسان : برد .

(٣) الجوازئ : الظباء وبقر الوحش ، سميت جوازئ لأنها اجتزأت بأكل النبت الأخضر عن الماء . اللسان : جزأ

(٤) أي الواسعات العيون . والبيت في ديوان الشماخ بن ضرار : ٣٣١

٢٧٧ ـ رجل

قَدِمَ على الحجّاج بفتح سَمَرْقَنْد ، فوجّهه إلى الشّام . قال : قدمتها فدخلت مسجدها فجلست وإلى جانبي شيخٌ ضرير ، فسألته عن شيء من أمر الشام ، قال : إنك لغريب ؟ فقلت : أجل . قال : مِنْ أي بلد أنت ؟ قلت : من خُرَاسان . قال : ما أقدمك ؟ فأخبرته . فقال : والذي بعث محمداً بالحق ما افتتحتموها إلاّ غَدْراً ، وإنكم ياأهل خُرَاسان الذين تسلبون بني أُميّةَ ملكهم وتَنْقُضون دمشق حجراً حجراً .

قال : أظن الضّرير يونس بن مَيْسرة بن حَلْبَس .

٢٧٨ ـ رجل

مَدَحَ سليمانَ بنَ عبد الملك وأخذ في تقريظه . فقال له سليمان : على رِسْلِك ، فإني لاأحب التزكية في المشاهدة ، ومديح اللّقاء . فقال الرجل : إني لست [١١٢/ب] أمدحك ، ولكني أحمد الله على النّعمة فيك . فقال سليمان : بلغت بالمديح مَنَاط الإحسان .

٢٧٩ ـ شيخ

مِنْ دمشق .

دَخَلَ سليمان بن عبد الملك المسجد فرآه فقال : ياشيخ ، أيسرُّك أن تموت ؟ قال : لا والله . قال : ولِمَ وقد بلغت من السن ماأرى ؟ قال : ذهب الشباب وشره ، وجاء الكبر وخيره ، فإذا قعدت ذكرت الله ، وإذا قمت حمدت الله ، فأحب أن تدوم لي هاتان الحالتان .

٢٨٠ ـ أَعْرَابي

دخل على سليمان بن عبد الملك فقال له : ياأمير المؤمنين ، إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته ، فإن من ورائه ماتحب إن قبلته ، وإن كرهت أوّله . قال سليمان : إنا لنجود بسَعَة الاحتمال على من لانرجو نصيحته ولا نأمن غشه ، وأنت الناصح حبباً والمأمون غيباً .

فقال : ياأمير المؤمنين ، أما إذْ أمنتَ بادرة غضبك فسأُطلق لساني بما خَرِسَتْ به الألسن عن عظتك ، تأديةً لحق الله وحق رعيّتك - وفي رواية - وحق إمامتك .

ياأمير المؤمنين ، إنه قد تكنَّفَك رجال أساؤوا الاختيار لأنفسهم ، فابتاعوا دنياك بدينهم ، ورِضَاك بسخط ربّهم ، خافوك في الله ، ولم يخافوا الله فيك ، فهم حَرْب للآخرة ، سِلْم للدنيا ، فلا تأمنهم على ماائتمنك الله عليه ، فإنهم لن يألوا للأمانة تضييعاً ، وللأمة عَسْفاً ، وللقرى خَسْفاً ، وأنت مسؤول عما اجترحوا ، وليسوا بمسؤولين مما اجترحتَ ، فلا تصلحُ دنياهم بفساد آخرتك ، فإن أعظم الناس غَبْناً مَنْ باع آخرته بدنيا غيره . فقال له سليمان : **أما أنت ياأعرابي فقد نصحت ، وأرجو الله أن[1] يعين على ماتقلدنا - وفي رواية - فقال له : أما أنت فقد سللت لسانك ، فهو أقطع من سيفك . فقال الرجل : ياأمير المؤمنين : لك ، لاعليك .**

٢٨١ - رجل

ظَلَمَه وكلاء رجل مِنْ بني أمية ، له منزلة عند ملوكهم ، في مال له بالحجاز ، فخاصم الرجلُ الوكلاء إلى الوالي [١١٣/آ] فمال عليه لهم . فقال : لاأرضى إلاّ بوالي مكّة والمدينة ، **فصاروا [إليه][2] فكتب الأموي إلى الوالي الذي ارتفعوا إليه ، فمال عليه لهم . فقال الرجل : لاأرضى إلاّ بأمير المؤمنين . فخرج إلى سليمان بن عبد الملك ، فلم يَلْقَ بدمشق أحداً من جلساء سليمان ، ولا عظيماً من عظماء دمشق إلاّ مال إلى الأموي عليه . فطلب الوصول إلى سليمان ، فتعذّر عليه ذلك ، فدلّ على خادم خصي أنه لايوصله إلى سليمان غيره ، ولا يوصله حتى يرغبه . فقال : أجعل له مئتي دينار على أن يوصلني إليه خالياً . فاجتمعوا[3] ، وقرّر له ذلك ، إن قضيتْ حاجته أو لم تقضَ . فأمر الخادمُ الرَّجُلَ بلزوم** الباب ، فلزمه . فدعا سليمان الخَصِيّ يوماً ، وأمره أن يأتيه بوضوء ، فأتاه به ، فبينا الخادم يصبُّ على سليمان إذ ملأ سليمان يده فضرب به وجه الخادم ، فعرف الخادم منه طيب نَفْسٍ فقال : أما هذا فتحسنه ، وأما أن تعطيني أو تدع مَنْ يعطيني فلا . فقال سليمان : هل منعت من عطيتك أحداً ؟ قال : هذا رجل ببابك ، قد جعل لي مئتي دينار على أن يكلمك

(١) في الأصل : وأرجو أن الله .

(٢) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٨/١٩ آ .

(٣) أي الرجل والخادم ومَنْ سَفَر بينهما .

في حاجة له خالياً ، قُضيت الحاجة أم لم تُقْضَ . فقال له سليمان : هاته . فجاء به ، وقام سليمان يصلّي ، ثم قعد يخطر بأصبعه ويدعو . فقال الرجل حين نظر إلى سليمان في تلك الحال : أواه ، أواه ، أخطأت موضع حاجتي . ورجع خارجاً ، وانصرف سليمان . فقال للخصي : أين صاحبك ؟ فطلبه فوجده خرج وقال : ادفعوا الدنانير للخادم فإنه وفى بما ضَمِنَ . فطلبه الخادم فلم يجده ، فرجع إلى سليمان فأخبره . فقال سليمان للخادم : بساطي عليك محرَّم أو تجيئني بهذا الرجل . فخرج الخادم وثقاته فتفرَّقوا في طلبه حتى ظفروا به يقود راحلته خارجاً من باب من أبواب دمشق ، فقال له الخادم : ارجع إلى أمير المؤمنين **فقد طلبك . فقال : لاحاجة لي به ، وقد أمرتُ أن تُدفع إليك الدنانير . فقال له الخَصِيُّ : لابد من الرجوع إلى أمير المؤمنين . فردَّه على كره منه إلى سليمان** [١١٣/ب] **فقال له** سليمان : ألم أخبر أنك جعلت لهذا مئتي دينار على أن يدخلك إليّ ؟ فقال الرجل : قد كان ذلك . قال سليمان : أفلم أرك ؟ قال : بلى . قال : فما أخرجك ؟ والله إن لك لخبراً . قال : أجل ، خبر ضخم العنق ، إن فلاناً ظلمني في أرض بالحجاز لي ، فاستعديت عليه الوالي على ناحيتنا ، فمال عليّ له ، فلم أرضَ بذلك ، واستعديت عليه الوالي الأكبر ، فمال له عليّ ، فلم أرضَ بذلك ، وقَدِمْتُ إليك فلم أجد أحداً إلاّ يميل له عليّ ، فجعلت لخادمك هذا الذي جعلت له على أن يوصلني إليك ، فلما أوصلني إليك رأيتك تخطر بأصبعك إلى السماء تطلب من الله حاجتك وتضرع إليه ، فعقلت بفعلك موضع حاجتي ، وعلمت أني أخطأت في طلبها ، ولم آتها مِنَ الموضع الذي ينبغي ، فرجعت أطلبها من الموضع الذي تطلب أنت حاجتك . فبكى سليمان ثم قال : إن الذي طلبت إليه [حاجتك][1] قد قضاها . وكتب إلى الأموي بكل ماأحب ، وأمره بردّ مايدعي عليه ، وأعطاه أيضاً مايصلح به ضيعته[2] وذلك بعد ما وصله سليمان وكساه وحمّله ، وأمر له بفرائض .

٢٨٢ ـ رجل

أخافه سليمان وطلبه ليقتله فهرب ، فجعلت رسله تختلف إلى منزله يطلبونه ، فلم يظفر به ، وجعل الرجل لا يأتي بلدة إلاّ قيل له : قد كنت تُطلب هاهنا . فلما طال عليه

(١) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٨/١٩ ب

(٢) الضيعة : الأرض المُغلّة . اللسان : ضيع .

الأمر ، وخشي ألاّ يفلت قال : ماأجد شيئاً خيراً من أن أذهب إلى بلادٍ ليس فيها له مملكة . فأقبل إلى أهله فطرقهم ليلاً فَدَقَّ الباب . فقالت المرأة : مَنْ هذا ؟ قال : افتحي ، أنا فلان . قالت : ويحك ، وما جاء بك ؟ فوالله ماناًمن ولا يأمن جيراننا ، ولكنَّ الحَيْنَ[1] جاء بك . ففتحت له ، وأسرجت سريعاً ، ونبهت له عياله وجاءته بعَشاء فتعشَّى ، وأرادها على نفسها ، فلم تمتنع عليه فواقعها وقالت : ياجارية ، ضعي لمولاك في المتوضأ سراجاً ، وصبِّي له ماءً ، واذهبي إلى فلان وفلان : أربعة من جيرانها ، ولا يعلم الرجل . فأتت أبوابهم ، فطرقتها ، فقالوا : مالكم ، أطرقكم الليلة أحد ؟ [١١٤/آ] قالت : لا . قالوا : فلأي شيء بعثتكِ[2] ؟ قالت : ما لي[3] علم . فدق هذا على هذا ، وأتوها ، ودخلوا البيت فقام إليهم ، واعتنقهم ، وقالوا : ماجاء بكَ ؟ فإنا مانأمن على منازلنا ، ولكن الحَيْن جاء بك . فقال : ياقوم ، لم آت بلدة إلاّ وجدتّني أُطلب فيها ، فرأيت أن أدخل بلدةً ليس له عليها مملكة ، وجئت لأوصي هذه المرأة وصية الموت ، لأني إن دخلت بلاداً غير بلاد الإسلام لم أقدر أن أخرج منها ، فأوصيت إليها ، وأُشهدكم على ذلك . ثم ودَّعهم ، وقاموا يخرجون . فقالوا : أيتها المرأة لأي شيء بعثت إلينا ؟ فقالت : أليس تعرفون الرجل أنه زوجي ؟ **قالوا : بلى . قالت : فإنه قد كان منه الليلة ما يكون من الرجل إلى أهله ، فاشهدوا على هذه الليلة ، فإنه لاأدري ما يكون هاهنا ـ وأشارت إلى بطنها ـ فيقول الناس : من أين جاءت بهذا وزوجها غائب ؟ فخرج القوم وهم يقولون : ما رأينا[4] كاليوم امرأة أحسن عقلاً ، ولا أقرب مذهباً . وودَّعوه ، وخرج الرجل ، ترفعه أرض وتضعه أُخرى حتى ظَنَّ أنه قد خرج من مملكته . فبينا هو في صحراء ليس فيها شجر ولا ماء ، إذا هو برجل يصلّي . قال : فخفته وقلت : هذا يطلبني ، ثم رجعت إلى نفسي فقلت : مامعه راحلة ولا دابّة . فقصدت نحوه ، فلما صرت بين كتفيه ركع ثم سجد ثم التفت إليَّ فقال : لعل هذا الطاغي أخافك ؟ قلت : أجل ، رحمك الله . قال : فما يمنعك من السَّبُع ؟ قلت : وما**

---

(١) الهلاك : اللسان : حين .

(٢) في الأصل : بعثتكم . والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٨/١٩ ب .

(٣) في الأصل : مالنا . والمثبت من المصدر السابق .

(٤) في الأصل : مارأيت . والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٦٩/١٩ أ .

السبع يرحمك الله ؟! قال : قل سبحان الله الواحد الذي ليس غيره إله ، سبحان القديم الذي لا بادئ له ، سبحان الدائم الذي لا نفاد له ، سبحان الذي كل يوم هو في شأن ، سبحان الذي يحيي ويميت ، سبحان الذي خلق ما يُرى وما لا يُرى ، سبحان الذي علم كل شيء بغير عِلْم . قال : قلها . فقلتها ، وحفظتها ، فألقى الله في قلبي الأمن ، ورجعت مِن الطّريق الذي جئت منه ، فلم أر الرجل ، وقصدت أهلي فقلت : لآتين باب سليمان بن عبد الملك ، فأتيت بابه فإذا هو يوم إذنه للناس ، فدخلت وهو قاعد على فرشه ، فما عدا أن رآني ، فاستوى على فرشه [١١٤/ب] ثم أدناني حتى قعدت معه على الفراش ، ثم قال : سحرتني ؟ وساحر أيضاً مع مابلغني عنك ؟ فقلت : ياأمير المؤمنين ، ماأنا بساحر ولا سحرتك . قال : فكيف ؟ فما ظننت أن يتم ملكي إلاّ بقتلك ، فلمّا رأيتك لم أستقر حتى دعوتك **فأقعدتك على فُرشي - وهو يضرب بيده على فخذه - ثم قال : اصدقني . فأخبرته بقصتي وخوفي ، وأمري كلّه . فقال سليمان . الخَضِر والله علمكها ، اكتبوا له أمانه ، وأحسنوا جائزته ، واحملوه إلى أهله .**

٢٨٣ - رجل

أرسل إليه عمرُ بنُ عبد العزيز فقال : كيف الحديث الذي حدثتني عن الصُّنَابِحي ؟ فقال :

أخبرني الصُّنَابحي أنه لقي عمرو بن عَبَسة[1] فقال : هل مِنْ حديث عن رسول الله ﷺ لا زيادة فيه ولا نقصان ؟ قال : نعم ، سمعت رسول الله ﷺ يقول : من أعْتَقَ رقبةً أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه مِنَ النّار ، ومن رمى بسهم في سبيل الله بلغ أو قصر كان عِدْل رقبة ، ومن شاب شيبةً في سبيل الله كان له نوراً يوم القيامة .

٢٨٤ - شيخ ضرير مِنَ الجزيرة

من ملازمي المسجد .

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخِلافة خَرَج ممّا كان في يده من القطائع ، وكان في يده

(١) في الأصل : عنبسة ، وهو تصحيف .

المكندس وجبل الوَرْس باليمن وفَدَك وقطائع اليمامة ، فخرج من ذلك كلّه وردّه إلى المسلمين إلاّ أنه ترك عيناً[1] بالسويداء[2] كانت تأتيه غَلَّتُها كلَّ سنة مئة وخمسينَ ديناراً ، وأقل وأكثر ، فذكر له يوماً مزاحم أن نفقة أهله قد فنيت . فقال : حتى تأتينا غَلَّتنا ، فقدم قيِّمُه بغَلَّته وبجراب تمر صَيْحاني[3] ، وبجراب تمر عجوة ، فنثره بين يديه ، وسمع أهله بذلك ، فأرسلوا ابناً له صغيراً فحفن له من التمر ، فانصرف ولم يَنْشَبْ أن سمعنا بكاءه ، ويضرب ، ثم أقبل يؤم الدنانير فقال : أمسكوا يديه . ورفع يديه فقال : اللهم ، بَغِّضْها إليه كما حببتها إلى موسى بن نُصير ، ثم قال : خلُّوه . فكأنما يرى به عقارب . ثم قال : انظروا [١١٥/آ] الشيخ الجَزَري المكفوف الذي يغدو إلى المسجد بالأسحار فخذوا له ثمن قائد لا كبيرٍ فيقْهَرَه ولا صغيرٍ فيضعُف عنه . ففعلوا . ثم قال لمزاحم : شأنك بما بقي فأنفقه على أهلك .

٢٨٥ ـ رجل من بني مروان
ابن الحكم

قال عمر بنُ عبد العزيز لآذنه : لا يدخلن عليَّ اليوم إلاّ مَرْوانيّ ، فلما اجتمعوا عنده ، حَمِد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بَعْدُ ، فإنكم يا بني مروان قد أُعطيتم في الدُّنيا حظاً وشرفاً وأموالاً ، إني لأحسب شطر مال هذه الأُمة أو ثُلُثَه في أيديكم ، فردُّوا ما في أيديكم من هذا المال . فسكتوا . قال : ألا تجيبوني ؟ فسكتوا . قال : ألا تجيبوني ؟ فتكلم رجل من القوم قال : لا والله لا يكون ذلك أبداً حتى يحال بين رؤوسنا وأجسادنا ، والله لانكفر آباءنا ولا نفقر أبناءنا . قال عمر : أما [والله][4] لولا أن تستعينوا عليَّ بمن أطلب هذا الحقّ له لأَضْرَعْتُ خدودكم[5] ، قوموا عني .

---

(١) أي ناحية . اللسان : عين .

(٢) قرية بحوران من نواحي دمشق . معجم البلدان : ٢٨٦/٣

(٣) ضرب من تمر المدينة . اللسان : صيح .

(٤) مابين حاصرتين زيادة من عندنا يقتضيها السياق .

(٥) أي أذللتها . اللسان : ضرع .

٢٨٦ ـ مؤذّن عمر بن عبد العزيز

حدّث عن مسلم بن يَسَار

عن عائشة أنّ رسول الله ﷺ كان إذا غضبت أخذ بأنفها وقال : ياعويش ، قولي اللهم رَبَّ النبي محمد ﷺ ، اغفر ذنبي ، وأَذْهب غيظ قلبي ، وأجرني من مُضلاّت الفتن .

٢٨٧ ـ رجل وَفَد على عمر بن عبد العزيز

قال : أتاني آتٍ في منامي فقال لي : إذا قام أَشَجُّ بني مروان فانطلق فبايعْه فإنه إمام عَدْل . فجعلت أسأل كلما قام خليفة حتى قام عمرُ بنُ عبد العزيز ، فأتاني ثلاث مرات في المنام ، فلما كان آخر ذلك زَبَرني وأَوْعدني ، فرحلت إليه ، فلما قدمت لقيته فحدّثته الحديث فقال : مااسمك ؟ ومن أين أنت ؟ وأين منزلك ؟ قلت : بخراسان . قال : ومن أمير المكان الذي أنت به ؟ ومن صديقك هناك ومن عدوّك ؟ فألطف المسألة ، ثم حبسني أربعة أشهر . فشكوت إلى مزاحم ، مولى عمر بن عبد العزيز [١١٥/ب] فقال : إنه قد كتب فيك . قال : فدعاني بعد أربعة أشهر فقال : إني كتبت فيك فجاءني ماأُسَرُّ به من قِبل صديقك وعدوك ، فبايعْني على السَّمْع والطّاعة والعَدْل ، فإذا تركتُ ذلك فليس لي عليك بَيْعة ، فبايعته . قال : ألك حاجة ؟ فقلت : لا ، أنا غنيٌّ في المال ، إنما أتيتك لهذا . فودَّعته ومضيت . فقلت بيني وبين نفسي وهو يراني ، وذكرت بُعْد أهلي وطول المسير إليهم فقلت : لو حملني على البريد . فالتفتَ ، فرآني ، فدعاني فقال : ألك حاجة ؟ فقلت : نعم ، شيء إن لم يثقل عليك ؛ ذكرت بُعْد أهلي ، وطول المسير فقلت : لو حملني على البريد . فقال : ماذلك لك ، ولا لنا . قال : فمكث هنيهة ثم قال : هل لك أن تعمل لنا عملاً وأحملك ؟ فقلت : نعم . قال : لاتأت على عامل لنا إلاّ نظرتَ في سيرته ، فإن كانت حسنة لم تكتب بها ، وإن كانت قبيحة كتبت بها . قال مزاحم : فما زال كتاب منه يجيئنا في عامل فنعزله حتى قَدِمَ خُرَاسان .

٢٨٨ ـ رجل من بني أَسَد

حَرَسِيٌّ لعمر بن عبد العزيز قال :

ما رأيت عمر قتل أسيراً قط إلاّ واحداً من التُّرْك [جيء بأسَارَى من التُّرْك][1] فأمر بهم أن يُسْتَرَقُّوا ، فقال رجل ممن جاء بهم : ياأمير المؤمنين ، لو رأيت هذا ـ لأحدهم ـ وهو يَفْتِكُ في المسلمين لكَثُرَ بكاؤك عليهم . فقال عمر : فدونَكَ فاقتلْه . فقَتَلَه .

٢٨٩ ـ رجل من حَرَس عمر بن عبد العزيز

قال : خرج علينا عمر بن عَبْد العزيز يوم الجُمُعة ، فقمنا . فقال : إذا رأيتموني فلا تقوموا ، ولكن توسَّعوا . ثم قال : أيكم يعرف بيت فلان ؟ فقلنا : كُنا نعرفه . قال : فليقم أحدثكم سناً . فقام أحدثنا سناً ، فدعاه له ، [فجاء الرجل][2] وقد تهيأ وشَدَّ عليه ثيابه . فقال عمر : إنا بعثناك في أمر عَجِلةٍ من أمر المسلمين ، فلا يحملك استعجالنا لك على أن تخرج حتى تصلِّيَ الجمعة ، فإن اليوم الجمعة ، وإذا حضرت الصلاة ، فصلِّها لوقتها ، فإنك لا محالة أن تصليها ، وإن الله ذكر قوماً فقال : ﴿ أَضَاعُوا الصَّلاَةَ [١١٦/آ] واتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً ﴾[3] ولم تكن إضاعتهم إياها أنْ تركوها ، ولو تركوها لسمَّاهم بتركها كُفَّاراً .

٢٩٠ ـ شيخ

حَرَسِيٌّ لعمر بن عبد العزيز .

قال : رأيت عمر حين وَلِيَ وبه من حسن اللَّوْن ، وجودة الثياب والبِزَّة ، ثم دخلت عليه بَعْدُ وقد ولي فإذا هو قد احترق واسودّ ، ولصق جِلْده بعظمه حتى ليس بين الجلد

---

(١) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٠/١٩ آ .

(٢) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٠/١٩ ب .

(٣) سورة مريم : ٥٩/١٩

والعظم لحم ، وعليه قَلَنْسوة بيضاء قد اجتمع قُطْنها ، تعلم أنها قد غُسلت ، وعليه سَحْق[1] إنبجانية قد خرج سَدَاها وهو على شَاذَكُونة[2] قد لصقت بالأرض ، تحت الشَّاذَكُونة عباءة قَطَوانية[3] من مشاقة[4] الصّوف ، فأعطاني مالاً أتصدّق به بالرِّقّة فقال : لا تقسمه إلاّ على نهر جار . فقلت له : يأتيني مَنْ لاأعرف ، فمن أُعطي ؟ قال : مَنْ مَدّ يده إليك .

٢٩١ ـ حَرَسِي لعمر بن عبد العزيز

دخل رسولٌ لبعض الولاة على عمرَ بنِ عبد العزيز ، ومعه حَرَسي لعمر ، فجعل الرسول إذا كلم عمر كلمة زجره الحرسي وانتهره ، حتى فرغ من قراءة كتابه فقال : كن قريباً . ثم دخل رسول آخر ومعه ذلك الحرسي ، فكلم عمر ، لايَنْدَهُه[5] ولا يمنعه ، حتى فرغ من قراءة كتابه فقال : كن قريباً ، ثم أرسل عمر إلى الرسول الأوّل فقال له : أرأيت الحرسي الذي كان دخل معك ، هل تعرفه ؟ قال : لا . قال : إن الله قد أفطنني لمنعه إياك من الكلام فنفعك ذلك ولم يضرك ، فارفع إليَّ حاجتك . فلم يسأله شيئاً إلاّ أعطاه إياه ، ثم أرسل إلى الرسول الثاني فقال : هل بينك وبين الحرسي الذي دخل معك معرفة ؟ قال : نعم ، هو صديقي وجاري . قال : أما أنه قد حاباك ، وجهد أن ينفعك فألقي في رُوعي لاتصيب مني شيئاً ، فلولا أن تكون مني مُراغَمَة في منع رزق ، لم تصب مني شيئاً ، وسآمر لك بمعروف . ثم أرسل إلى الحرسي فقال : ويلك ، وليت أمر رجلين بين يدي فلم تعدل بينهما ، فكيف الأمر على ما [١١٦/ب] ابتليت به ؟ فاختر مني أحد أمرين : إما أن تأذن لي فألقبك لقباً ، وإما أن أمحوك من الحرس . قال : بل تُعْفيني . قال : لا . قال : فإني أختار أن تلقبني . فسماه الجانف ، فكان إذا رآه يقول : ادعوا لي الجانف ، فيقول : ياأمير المؤمنين ! فيقول : ماسببت ، هو شَرْطي عليك . فلم يزل كذلك حتى مات .

---

(١) السحق : الثوب الخلق البالي . اللسان : سحق .

(٢) ثياب غلاظ مضربة تعمل باليمن . القاموس : شذن .

(٣) القطوانية : عباءة بيضاء قصيرة الخَمْل ، والنون زائدة . اللسان : قطا .

(٤) أي ماخلص منه ، وقيل : هو ماطار وسقط عن المشق . اللسان : مشق .

(٥) أي لا يزجره . اللسان : نده .

٢٩٢ ـ رَجُل من حرس عمر بن عبد العزيز

قال : بينا عمر يسير على بغلته بمُنَاصِرَة[١] إذ جاء رجل متّزر ببُرْدٍ ، متعصّب بآخر حتى أخذ بلجام بغلته ، ما يَنْهَنِهُهُ[٢] أحد فقال : [من البسيط]

تدعون حرَّان مظلوماً ليأتيكم فقد أتاكم لعند الدار مظلوم

فقال : مِمَّن أنت ؟ قال : من حَضْر موت . قال : ما ظُلامتك ؟ قال : أرضي ، وأرض آبائي أخذها الوليد وسليمان فأكلاها . فنزل عمر عن دَابَّته يتكئ حتى جلس بالأرض . فقال : مَنْ يعلم ذلك ؟ قال : أهل البلد قاطبة . قال : يكفيني من ذلك شاهدا عَدْل . اكتبوا له إلى بلاده ، إن أقام شاهدَيْ عَدْلٍ على أرضه وأرض آبائه وأجداده ، فادفعوها إليه ، فحَسْب الوليد وسليمان ما أكلا من غَلَّتها . فلما ولّى الرجل قال : هل هلكت لك من راحلة ، أو أُخلق لك من ثَوْب ، أو نفد لك من زاد ، أو تخرّق لك من حذاء ؟ فحسَبَ ذلك ، فبلغ اثنين وثلاثين ديناراً أو ثلاثة وثلاثين ديناراً . فأتى بها من بيت المال ، فكأني أنظر إليها تُعَدُّ في يده .

٢٩٣ ـ رَجُلٌ

ممن كان في جيش مَسْلمة بن عبد الملك في غزوة القُسْطَنْطِينِيَّة .

وفَدَ على عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، إن بلائي كذا ، ومن أمري كذا . فالتفت إلى بعض جلسائه فقال : أما يريد هؤلاء أن يستبقوا لآخرتهم شيئاً ؟ !

٢٩٤ ـ رجل

من العلماء .

قدم على عمر بن عبد العزيز . فقال : الصامت على علم كالمتكلّم على علم . فقال عمر :

---

(١) بليدة من أعمال حلب تحاذي قنسرين نحو البادية . معجم البلدان : ٣٩٠/٢

(٢) أي ما يزجره أحد . اللسان : نهنه .

إني لأرجو أن يكون المتكلّم على عِلْم أفضلهما يوم القيامة حالاً [١١٧/آ] وذلك أن منفعته للناس ، وهذا صمته لنفسه . قال : يا أمير المؤمنين ، وكيف بفتنة المنطق ؟ فبكى عمر بكاءً شديداً .

٢٩٥ ـ خَصِيٌّ لعمر بن عبد العزيز

حدَّث أن عمر لم يغتسل في داره قط إلاّ بمئزر .

٢٩٦ ـ مولى لعمر بن عبد العزيز

حدَّث عن أبي بُرْدة ، عن أبيه ، عن النبي ﷺ .

﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ ﴾[1] قال : عن نور عظيم ، يَخِرُّون له سُجَّداً .

٢٩٧ ـ رجل

سمع عمر بن عبد العزيز وهو خليفة في يوم فطر على المنبر يقول : إن شعار هذا اليوم التحميد والتكبير والتمجيد . ثم كبَّر مراراً ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، ولله الحمد ، ثم يشَّهد للخُطبة ، ثم يفصل بين التشهد بتكبير .

٢٩٨ ـ أَعْرابي دَخَل على عمر

فقال : رجلٌ من أهل البادية ، ساقته الحاجة ، وانتهت به الفاقة ، والله سائلك عن مقامي هذا . فقال عمر : ما سمعت كلمات أبلغ من قائل ، ولا أبلغ لمقول منها .

٢٩٩ ـ شيخ حُدَّ في الشَّراب

قال عمر بنُ عبد العزيز : لأجلدَنَّ في الشراب كما فعل جدي عمر بن الخطاب رضي الله عنهما . ثم أمر صاحب عَسَسِه وضم إليه صاحب خبره ، وقال لهما : من وجدتماه سكران

(١) سورة القلم : ٤٢/٦٨

فأتياني به . فطافا ليلتهما حتى انتهيا إلى بعض الأسواق ، فإذا هما بشيخ حسن الشَّيبة ، بهي المنظر ، عليه ثياب حسنة ، متلوث في أثوابه سكران وهو يتغنى : [من الطويل]

سقوني وقالوا لاتَغَنّ ولو سقوا ... جبال حنين ماسقوني لغنَّتِ

فحرَّكاه بأرجلهما وقالا له : ياشيخ ، ماتستحي بهذه الشَّيبة الحسنة مِنْ مثل هذه الحال ؟ فقال : ارفقا بي ، فإن لي إخواناً أحداث الأسنان شربت عندهم ليلتي هذه ، فلما عمل الشراب فيَّ أخرجوني ، فإن رأيتما أن تعفوا عني فافعلا [١١٧/ب] فقال صاحب الْعَسَس لصاحب الخبر : اكْتُمْ عليَّ أمره حتى أُطلقه . قال : قد فعلت . قال : انصرف ياشيخ ولاتعد . فقال : نعم ، وأنا تائب ، فلما كان [في][1] الليلة الثانية وجدا الشيخ على حاله وهو يتغنى : [مجزوء الخفيف]

إنما هيج البلا ... حين عَضَّ السفر جلا
فرماني وقال لي ... كن بعينيَّ مبتلى
ولقد قام لحظه ... لي على القلب بالقِلَى

فحركاه بأرجلهما وقالا له : ياشيخ ، أين التوبة منك ؟ فقال : ارفقا بي واعلما أن إخواني الذين ذكرتهم لكما البارحة حلفوا لي في يومهم هذا أنه متى عمل الشراب لايخرجوني ، فعمل فيهم وفيَّ فخرجت وهم لا يعلمون ، فإن رأيتما أن تزيدا في العفو فافعلا . فقال صاحب الْعَسَس لصاحب الخبر : اكْتُمْ عليَّ أمره حتى أُطلقه . قال : قد فعلت . قال : انصرف . فلما طافا [في][1] الليلة الثالثة وجداه على حاله يتغنّى : [من الخفيف]

ارْضَ عني فطالما قد سخطتا ... أنت مازلت جافياً مذ عَرِفْتَا
أنت مازلت جافياً لا وصولاً ... بل بهذا ـ فدتك نفسي ـ أُلِفْتَا
ماكذا يفعل الكرام بنو النا ... س بأحبابهم فَلِم كنت أنتا ؟

فحرَّكاه بأرجلهما وقالا : هذه الثالثة ولاعفو . قال ؛ أخطأتُما ، فإني رويت بسندي إلى أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : مَنْ شرب الخمر لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، فإن تاب تاب الله عليه . فإن شربها [الثانية لم تقبل له صلاة أربعين ليلة فإن تاب تاب الله

(١) مابين حاصرتين ليست في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧١/١٩ ب .

عليه][1] فإن شربها الثالثة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، [فإن تاب تاب الله عليه][1] فإن شربها الرابعة لم تقبل له صلاة أربعين ليلة ، ثم تاب لم يتبِ الله عليه ، وكان حقاً على الله أن يسقيه من طِينة الخَبَال . قيل : وماطينة الخَبَال ؟ قال عصارة أهل النّار في النّار .

قال : فعفو من الثالثة واجب ، ومن الرّابعة غير واجب . فقال صاحب العَسَس لصاحب الخبر : اكتم عليَّ أمره حتى أُطلقه . قال : قد فعلت . قال : انصرف . فلما كان في الليلة الرابعة وجداه على حاله وهو يتغنى : [من البسيط]

قد كنتُ أبكي وما حنتْ لهم إبل ... فما أقول إذا ما حَمّل الثُّقل
كأنني بك نِضْو[2] لا حراك به ... تُدْعى وأنت عن الداعين في شُغُلِ[3]
فقلبوك بأيديهم هناك وقد ... سارت بأجمالك المَهْرِيَّةِ الذُّلُل
حتى إذا استيأسوا من أن تجيبهمُ ... غطوا عليك وقالوا قد قضى الرجل

فحرَّكاه بأرجلها وقالا : هذه الرابعة ولا عفو . قال : لست أسألكما عفواً بعدها ، فافعلا ما بدا لكما ، فحملاه فأوقفاه بحضرة عمر بن عبد العزيز ، وقصّا عليه قصته من أوّلها إلى آخرها ، فأمر عمر رضي الله عنه باستنكاهه[4] فوجد منه رائحةً ، فحبسه حتى أفاق ، فلما كان في الغد أقام عليه الحد ، فجلده ثمانين جلدة . فلما فرغ قال له عمر : أنصف يا شيخ من نفسك ولا تَعُد . قال : يا أمير المؤمنين ، قد ظلمتني لأنني عبد ، وحددتني حَدَّ الأحرار . فاغتمّ عمر . فقال : أخطأت علينا وعلى نفسك ، أفلا أخبرتنا أنك عَبْد فنحدك حد العبيد ؟ فلما رأى اهتمام عمر به ردَّ عليه وقال : لا يسوءك الله يا أمير المؤمنين ، ليكن لي بقية هذا الحَدّ سلفاً عندك ، لعلي أُرفع إليك مَرّة أُخرى . فضحك عمر حتى استلقى على مسنده ، وكان قليل الضحك ، وقال لصاحب عَسَسه وصاحب خبره : إذا رأيتما مثل هذا الشيخ في هيئته وعلمه وفهمه وأدبه فاحملا أمره على الشُّبْهة ، فإن رسول الله ﷺ قال : ادْرَؤوا الحدودَ بالشُّبُهات[5] .

(١ ـ ١) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٢/١٩ آ

(٢) في الأصل : نصر ، وقد وضع إلى جانبها حرف ط . والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٢/١٩ آ . والنضو : البعير المهزول ، وقد يستعمل في الإنسان . اللسان : نضا .

(٣) كذا في الأصل ، وفيه إقواء ، وفي المعجم لابن الأبار : ٢٣٢ مشتغل ، وبها ينتفي الإقواء .

(٤) أي بشم رائحة فمه . اللسان : نكه .

(٥) الخبر مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ في « المعجم » لابن الأبار : ٢٢٩ ـ ٢٣٣

٣٠٠ ـ شَابٌّ

دخل قَومٌ على عمر بن عبد العزيز يعودونه في مرضه ، وإذا فيهم شابٌّ داثر[١] ناحل الجسم فقال له عمر : ما الذي بلغ بك ما أرى ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، أمراض وأسقام . قال : سألتك بالله إلاّ صدقتني . فقال : يا أمير المؤمنين ، ذقت حلاوة الدُّنيا فوجدتها مُرَّة ، فصَغُرَ في عيني زهرتها وحلاوتها ، واستوى عندي حَجَرها وذَهَبها ، وكأني أنظر إلى عرش ربي ، والنَّاس يساقون إلى الجنة والنار ، فأظمأت لذلك نهاري ، وأسهرت ليلي ، وقليل حقير كل ما أنا فيه في جَنْب ثواب الله وعقابه .

٣٠١ ـ فتىً مِنَ الأَنْصَار [١١٨/ب]

دخل على عمر بن عبد العزيز شيخ جليل فقال : يا أمير المؤمنين ، إني دخلت مصر مع مَرْوان ، وغزوت دير الجاجم ، وغزوة كذا وغزوة كذا ، فتأمر لي بشيء ؟ فقال : اجلس أيها الشيخ . قال : ويثور عند الشيخ يكلمه غلام من الأنصار[٢] فقال : يا أمير المؤمنين ، أنا فلان بن فلان ، أبي ممن شهد العقبة وبَدْراً وأُحداً . وذكرَ مغازي ـ فقال عمر : أين الشيخ ؟ فقال : ها هوذا . فقال : هذه المكارم ، لا ما يعده الشيخ منذ اليوم : [من البسيط]

تلك المكارِمُ لا قَعْبَانِ من لَبَنٍ ... شيبا بماء فصارا بعد أبوالا[٣]

قال : هذا الأنْصاري هو رجل من ولد قتادة بن النُّعْمان ، كما رُوي أنه وَفَد على عمر بن عبد العزيز ، فقال له عمر : مَنِ الرجل ؟ قال : [من الطويل]

أنا ابن الذي سالت على أُحد عينه ... فردَّت بكف المصطفى أحسن الرد
فعادت كما كانت لأول عهدها ... فيا حسن ما عيني ويا طيب ما يد[٤]

---

(١) في الأصل : دانا وعلى الهامش حرف ط . والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٢/١٩ آ ودثر الرجل : إذا علته كبْرَة واسْتِسنان . اللسان : دثر .

(٢) في سيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي : ٧٦ . ويثور غلام من الأنصار .

(٣) البيت لأبي الصلت بن ربيعة الثقفي ، وهو من قصيدة طويلة منسوبة له . انظر الشعر والشعراء : ٤٣١/١ ـ ٤٣٣ . وسيرة ابن هشام : ٦٧/١ ـ ٦٨ ، القعبان : تثنية قعب ، وهو قدح يحلب فيه . وشيبا : أي مزجا .

(٤) في الأصل : مايدي . وعلى الهامش حرف ط .

قال عمر بن عبد العزيز : [من البسيط]

تلك المكارم لا قَعْبَان من لبن ـ البيت .

٣٠٢ ـ شابٌّ مِنَ الكوفة

كان لفاطمة ابنة عبد الملك ، زوجةِ عمر بنِ عبد العزيز جارية ذاتُ جمال فائق ، وكان عمر مُعْجباً بها قبل أن تُفْضي إليه الخلافة ، فطلبها منها ، وحَرَص ، فأبت عليه ، وغارت من ذلك ، وبقيت في نفس عمر . فلما استُخلف أمرت فاطمة فأصلحت الجارية وحلّيت ، وكانت حديثاً في حُسنها وجمالها ، ثم قالت فاطمة : يا أمير المؤمنين ، كنت معجباً بجاريتي فلانة وكنتَ سألتنيها ومنعتكها ، وقد طابت نفسي لك بها ، فدونكها . فاستبانتِ الفرحَ في وجهه وقال : ابعثي بها إليّ . ففعلت ، فأُعجب بها وقال لها : ألقي ثوبك ، فلما هَمّت أن تفعل قال لها : على رِسْلِك ، أخبريني لمن كنت ؟ ومن أين أُبْتِ لفاطمة ؟ قالت : كان الحَجّاج أُغرم عاملاً من أهل [١١٩/آ] الكوفة مالاً ، وكنت في رقيق ذلك العامل ، فاستصفاني عنه مع رقيق له وأموال ، فبعث بي إلى عبد الملك وأنا [يومئذٍ][1] صبية ، فوهبني عبد الملك لابنته فاطمة . قال : وما فعل العامل ؟ قالت : هلك . قال : فترك ولداً ؟ قالت : بلى . قال : وما حالهم ؟ قالت : سيئة . قال : شدني عليك ثوبك . ثم كتب إلى عبد الحميد ، عامله ، أن سَرِّحْ إليّ[2] فلان بن فلان على البريد . فلما قَدِم ، قال : ارفع إليّ جميع ما أغرم الحَجّاج أباك . فلم يرفع إليه شيئاً إلاّ دفعه إليه ، ثم دفع الجارية إليه ، فلما أخذ بيدها ، قال : إياك وإياها ، فإنك حديثُ السن ، ولعل أباك أن يكون قد وطئها . فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، هي لك . قال : لا حاجة لي فيها . قال : فابتعها مني . قال : لست إذاً ممن ينهى النَّفْس عن الهوى . فمضى بها الفتى ، فقالت الجارية : أين مَوْجَدَتُك بي يا أمير المؤمنين ؟ قال : إنها لعلى حالها ، ولقد ازدادت . فلم تزلِ الجارية في نفس عمر حتى مات ، رحمه الله .

---

(١) ما بين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر س : ١٧١/١٩ ب .

(٢) أي أرسل . اللسان : سرح .

٣٠٣ ـ رجل

من مُزَيْنَة ، كانت عنده قَطيفة للنبيِّ ﷺ ، فلما استُخلف عمر بن عبد العزيز أرسل إليه فأُتيَ بها في أديم أحمر ، فجعل يمسح بها وجهه .

٣٠٤ ـ شَابٌّ

مِنْ أهل العراق .

وفَدَ وَفْدٌ على عمر [بن عبد العزيز][1] وفيهم شاب ، فتكلَّم الشَّاب ، فنظر إليه عمر فحدد النظر ، ثم قال : الكبر ، الكبر . قال الشاب : يا أُمير المؤمنين ، ليس بالكبر ولا بالصغر ، ولو كان بالكبر لقد كان في الناس من هو أكبر منك . قال : صدقت ، فتكلم . قال : ماجئناك لرغبة ولا لرهبة . فنظر إليه عمر [أيضاً][2] فقال : أما الرَّغْبة فقد أتتنا في منازلنا ، وأما الرَّهبة فقد أَمِنَّا جَوْرك ، ولكنا وَفْدُ الشكر . فسُرِّي عن عمر وقال : يافتى ، أرى لك عقلاً ، فعظني . قال : إن قوماً اغتروا بالله فيك فأثنَوا عليك مما ليس فيك ، فلا يغررك اغترارهم بالله فيك مع ماتعرفه من نفسك . فبكى عمر حتى سقط .

[١١٩/ب] وفي آخر بمعناه :

فقال له : عظني . فقال : إن من النَّاس ناساً غَرَّهم الأمل ، وأفسدهم ثناء الناس عليهم ، فلا يغرنك من اغتر بالله فيك ، فَمَدَحَكَ بما علم الله خلافه ؛ وماقال رجل في رجل شيئاً إذا رضي إلاَّ وهو يقول فيه على حسب ذلك إذا سخط . فتهلل وجه عمر وقال : [من الطويل]

تعلم فليس المرء يولد عالماً ... وليس أخو علم كمن هو جاهل
وإن كبير القوم لا علم عنده ... صغير إذا التفت عليه المحافل

---

(١) مابين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٧/١٩ آ .

(٢) مابين حاصرتين من المصدر السابق .

٣٠٥ ـ رجل أَنْصَارِي

قال إسماعيل بن أبي حكيم :

لما مات سليمان بنُ عبد الملك انطلقت أنا ومزاحم إلى نفقة كانت لعمر بن عبد العزيز في رحله فغيبناها ، ثم أقبلت أُريد المسجد ، فلقيني رجل فقال : هذا صاحبك يخطُب النَّاس . فقلت : خليفة ؟ قال : خليفة . فانتهيت إليه وهو على المنبر ، فكان أوّل ما سمعته يقول : ياأيها الناس ، إني والله ما سألتها الله في سر ولا علانية قط ، فمن كره منكم فأمره إليه . فقال رجلٌ مِنَ الأنصار : ياأمير المؤمنين ، ذاك والله أسرع فيما تكره[1] ، أبسط يدك فلنبايعك . فكان أوّل من بايعه الأنصاري هذا .

ومشى عمر في جِنازة سليمان ، فلما فرغ من دفنه أُتي بمراكب الخلفاء فلم يركب شيئاً منها ، وقال : بغلتي ؟ فركض إنسان إلى العسكر ، وقعد عمر حتى جيء ببغلته ، فركبها ورجع .

وقد كان سليمان أمر أهل مملكته أن يقودوا الخيل بسَبَقٍ بينهم ، فمات قبل أن يجري الْحَلْبة ، فأبى عمر أن يجريها ، فقيل له : ياأمير المؤمنين ، تكلّف النَّاس مؤونات كبيرة ، وقادوها من بلاد بعيدة ، وفي ذلك غيظ للعدو ، ولم يزالوا حتى أجرى الْحَلْبة ، وأعطى السابقين ولم يخيّب المسبوقين ، بل أعطاهم دون ذلك ، وكان الناس لقوا جهداً من الْقُسْطَنْطينية من الجوع فأقفل الناس ، وبعث إليهم بالطَّعام .

٣٠٦ ـ رجل

[١٢٠/آ] من البصرة ، وفد لأهل البصرة على عمر بن عبد العزيز ، فلما أتاه قال له : مابك ؟ قال : ياأمير المؤمنين ، أتيتك مستجيراً . قال : لماذا ؟ قال : كبير بالعَذْبة ، قال : وأين الْعَذْبة ؟ قال : على منزلتين من البصرة . قال : فقد أخفرتك ، على أن أول وارد ابن سبيل[2] قال : ثم دنت الجمعة ، فقربت من المنبر فلما صَعِدَه ، حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

---

(١) على هامش الأصل حرف ط .

(٢) كذا الأصل ، ولم أتبين المعنى .

يـاأيهـا النـاس ، إنكم ميتـون، ثم إنكم مبعـوثـون ، ثم إنكم محـاسبـون ، فلئن كنتم صدّقتم لقـد قصرتم ، ولئن كنتم كذّبتم لقد هلكتم . ياأيها الناس ، إن مَنْ يكون لـه رزق بحضيض الأرض أو بنَبْوة جبل يأتيه ، فأجملوا في الطّلب . ثم نزل .

٣٠٧ ـ رَجُلٌ

من عُمّال الحجاج .

استعمله عمر بن عبد العزيز ، وبلغه أنه كان عـاملاً للحجـاج فعزلـه ، فجـاءه يعتـذر إليه ، ويقلل ماعمل ، فقال له عمر : حَسْبُك من صحبة شر وشؤم يومٌ أو بعض يوم .

٣٠٨ ـ أَعْرَابِي مِنْ كَلْب

قال الأَصْمعي : أراد عمرُ بنُ عبد العزيز أن يمنع الْحَلْبـة ، فقيل لـه : سوق مِنْ أسواق العرب . قال : فتركهـا أربـأ بهـا[1] . فلمـا أرسلت الخيل أقبل أعرابي على فرسٍ وهو يقول : [من الرجز]

غـايـــة مجـــد رفعت فمن لهـــا نحن احتـوينـاهـا وكنـا أهلهـا

[لو تسفل][2] الطير لجئنا قبلها

فَعَثَرت فرسُه ، فسقط ، وتقـدّمـه رجل من ولـد أبي بكر الصـديق ـ رضي الله عنـه ـ بفرسه . فقـال الأعرابي : يـاأمير المؤمنين ، قـد رأيتَ مـاجرى . قـال : قـد رأيتُ ، سبقني وإياك رجل كان أبوه سَبّاقاً إلى الخير ، رحمة الله عليه .

---

(١) على هامش الأصل حرف ط .

(٢) مـابين حـاصرتين بيـاض في الأصـل ، وقـد وضع على الهـامش حرف (ط) ، والمثبت من تـاريخ ابن عساكر س : ١٧٣/١٩ ب .

٣٠٩ ـ رَجُلٌ

قال في أثناء حديثه : إن أهل حمص رفعوا قِصَّةً إلى عمر بن عبد العزيز : إن مدينتنا قد خَرِبَ حصنها . فوقَّع في قِصّتهم إلى الأمير : ابْنِها بالعَدْل ، ونَقِّ طرقاتها من الأذى .

٣١٠ ـ رجل

وفد على عمر بن عبد العزيز .

صَلّى عمر ذات يوم ، فلما ذهب ليدخل ، هتف به هاتف : يـاأمير المؤمنين . فـأقبل عليه مذعوراً . فقال : ماشأنك ؟ أتعذّر عليك حُجّابي أو [قال][1] آذنيّ ؟ قـال : لا يـاأمير المؤمنين ، ولكني قدمت السَّاعة ، وجئتك مبادراً [١٢٠/ب] قال : مبادراً ماذا ؟ قال : أن تسبقني بنفسك . قال : ولم ؟ قـال : لأني رأيت الخير سريع الـذهـاب . فجلس عمر وقـال : حاجتك ؟ فقال الرجل : ياأمير المؤمنين ، اذكرْ لمقامي هذا مقـامـاً لا يشغل اللهَ عنـك فيـه كثرةُ مَنْ تخاصم إليه من الخلائق يوم تلقاه بلا ثقة من العمل ، ولا براءة من الـذَّنْب . قـال : فاستبكى ـ أو قال : بكى ـ ثم قال : أعد . فأعاد . ثم قال : حاجتك ؟ فأخبره بحاجته .

٣١١ ـ رجل

مِنْ أهل المدينة .

حدَّث عن أبيه أنه قدم مع محمد بن كعب القُرَظي على عمر بن عبـد العزيز . فكان فيما ذاكرنا به أن قال لمحمد : ياأبا حمزة ، ماضَرَّ أخـاك بُسْر بن سعيـد التقلل والانقطـاع الـذي كان فيه . ثم بكى بكاء شـديـداً حتى قلت : الآن يسقـط . ثم قـال : أمـا والله ، لئن كان بُسْر صبر على القلة والعبادة ، لقد صبر على معرفة وعلم بما صبر عليه .

---

(١) مابين حاصرتين من ابن عساكر س : ١٧٤/١٩ آ .

٣١٢ ـ أَعْرَابي

جاء إلى عمر بن عبد العزيز فقال : يا أمير المؤمنين ، جاءت بي الحاجة ، وانتهت الغاية ، والله سائلك عما أقول . فقال له عمر : أعد عليَّ ماقلت . فأعاد عليه ، فنكَّس عمرُ رأسه ، وأرسل عينيه حتى ابتلت الأرض بدموعه ، ثم قال له : ماعيالك ؟ قال : أنا وثلاث بنات لي . ففرض له في ثلاث مئة ، وفرض لبناته لكل واحدة مئة دِرْهم ، وأعطاه مئة درهم . قال : هذه لك ، وإذا خرج عطاء المسلمين أخذت معهم .

٣١٣ ـ أَعْرابي شَاعر

سرق سَرِقة في خلافة عمر بن عبد العزيز ، فأمر عمر بقطع يده ، فقال : يا أمير المؤمنين ، اسمع مقالي ، ثم افعل ماترى . فقال له : [قل][1] ، فأنشأ يقول : [من الطويل]

يميني أمير المؤمنين أعيذها ... بعفوك أن تلقى نكالاً يشينها
ولاخير في الدنيا ولا في نعيمها ... إذا ماشمال فارقتها يمينها
ولو أن أهلي يعلمون لسيرت ... إليك المطايا عينها وقطينها

[١٢١/آ] فقال : ياأعرابي ، هذا حَدٌّ من حدود الله ، وتَرْكه ذنب . فقال : يا أمير المؤمنين ، اجعل هذا من الذّنوب التي تستغفر الله منها . فأمر بتخليته .

٣١٤ ـ رجل

من أهل اليمامة ، أتى عمر بن عبد العزيز ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إني قد بلغت غايتي ، والله سائلك عن مقامي هذا . قال : قل . قال : عاملك باليمامة غصبني حَقّي ، واعتدى عليَّ في إبلي . قال : فإن الله قد عزل عنك العامل ، ورَدّ عليك ظَلامتك . ياغلام ، اكتب إليه . فخرج الأعرابي وهو يقول : [من الرجز]

يا أيها المظلوم في بلاده ... ائت الأمير عُمَراً فناده

(١) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٤/١٩ ب .

خليفـــــة الله على عبـــــاده لم يـؤثر الـدنيـا على معـــاده

قد أشبه الفاروق من أجداده

٣١٥ ـ شاعر

رثى عمر بنَ عبد العزيز .

لما شكى عمر شكواه الذي هلك فيه قال : اشتروا من الرَّاهب موضع قبري . فاشتُرِيَ منه موضع قبره بستة دنانير ، فقام الشَّاعر يرثيه : [من البسيط]

قد غادر القوم في اللحد الذي لحدوا بـدير سَمْعـان جريـان المـوازين

أقـول لمـا نعى لي نـاعيـاً[1] عمراً لا يبعَـدَنْ قضـاء العـدل والـدين[2]

٣١٦ ـ بَعْض آل الْمُهَلَّب

قال يزيد بن عبد الملك لبعض ولد الْمُهَلَّب حين أُتي بهم أسرى : كيف رأيتم الله صنع بكم ؟ فقالوا : ياأمير المؤمنين ، قوم زرعتهم الطاعة ، وحصدتهم المعصية .

٣١٧ ـ شاعر

مات خليفة[3] ليزيد بن عبد الملك فقال : هل ترك من خلف ؟ قالوا : ترك ابناً له . فأدخل عليه فقال : يابني ، إلى مَنْ أوصى بك أبوك ؟ فأطرق ساعة حتى ظَنَّ يزيد أنه قد أفحم ، ثم رفع رأسه وقال : [من الخفيف]

إن مثلي يـوصي الرجـال إليـه ليس مثلي يـوصي بـه الآبـاء

إنني والـذي يحـج لـه النـا س ومن دون بيتـه البيـداء

---

(١) كذا في الأصل .

(٢) البيتان في الكامل للمبرد : ٢٧٧/٢ مع اختلاف في اللفظ ، ومن غير نسبة ، وفي الكامل لابن الأثير : ٥٩/٥ نسبهما إلى كثير عزة ، ولم أجدهما في ديوانه .

(٣) كذا في الأصل ، وقد وضع على الهامش حرف (ط) .

لميٌّ بمـــا يـــؤمـــل في المر ء وإن كان في أخيـــك فَتَـــاء

فأمر له يزيد بأرزاق أبيه .

٣١٨ - [١٢١/ب] شيخ من ثقيف

مِنْ أهل الحجاز ، وفد على الوليد بن يزيد - وهو ولي عهد - في خلافة هِشام .

قال طُرَيْح بن إسماعيل الثَّقَفي : كنت عند الوليد ، فدعا بالشِّطْرَنْج فأخذت معه فيها ، فدخل الآذن فقال : بالباب رجل من أخوالك له نُبْل وهَيْئة يستأذن ، فقال : أمَّا هذا الوقت فلا ، فإني مقبل على ماترى . فقلت له : سبحان الله ! يأتيك رجل من أخوالك مُسَلَّماً فتحجبه ؟ قال : كيف بنا ونحن على هذه الحال ؟ فقلت : ترفع الشِّطْرنج ، وتأذن له . فقال : ذاك لما اتجهت عليك ! فقلت : يُغطى بمنديل وتنحرف ، ويدخل لحظة وينصرف . ففعل ، وأذن له . فدخل رجل جسيم مُعْتَمٌّ على قَلَنْسُوة مشرفة ، مشمِّراً ثيابه في زِيِّ الْفُقَهاء ، بين عينيه سَجَّادة[1] فسلَّم ،وجلس ، وقال : أيها الأمير ، خرجتُ من المدينة أريد عَسْقلان[2] للرِّباط بها ، فأحببت أنْ أؤدي حَق الْقَرابة والرَّحِم . فقال له الوليد : وصلك الله ياخال ، وأحسن جزاءك . ثم أقبل عليه الوليد فقال : ياخال ، كيف حفظك لمغازي أهل بلدك ، لعلك تفيدنا منها أحرفاً . قال : ماأحفظ منها شيئاً . قال : فكيف علمك بالسُّنَّة ونظرك في الفرائض ؟ قال : مانظرت في شيء من ذلك . قال : فكيف روايتك لشِعْر قومك ، وغيرهم من الشعراء ؟ قال : ماأروي منه شيئاً . قال : فكيف علمك بأيام العرب ، وأخبارها ؟ قال : قد أغفل خالك ذلك . قال : فعسى أن يكون همُّك مصروفاً إلى معنى آخر من مفاكهات أهل المدينة ومزاحاتهم ؟ قال : خالك يربأ بنفسه عن ذلك . قال الوليد : ياغلام ، ارفع المنديل . العب ياطُريح ، فليس معنا أحد .

٣١٩ - رجل

أتى هشام بنَ عبد الملك ، فقال : ياأمير المؤمنين ، إن عبد الملك أقطع جدي قطيعةً ، فأقرَّها الوليد وسليمان ، حتى إذا استُخلف عمر - رحم الله عمر - نزعها . قال : إن فيك

---

(١) السجادة : أثر السجود . اللسان : سجد .

(٢) مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين . معجم البلدان : ١٢٢/٤

لعجباً ، إنك تذكر من أقطع جَدّك ، ومَنْ أقرها في يده ، فلا ترحم عليه ، وتذكر من نزعها فترحم عليه ؟ قُمْ[1] ، فإنا قد أمضينا ما صنع عمر ، رحم الله عمر .

٣٢٠ ـ أَعْرابي

[١٢٢/آ]

وفَدَ على هشام بن عبد الملك يتظلّم مِنْ بعض عُمّاله فقال : إن فلاناً ممن رفعت خَسِيْسَتَه ، وأثبت رُكْنه ، وأعليت ذكره ، وأمرته بنشر محاسنك ، فطواها ، وإظهار مكارمك ، فأخفاها ، وعمد إلى أُمورك في رعيتك فتعدّاها ، استخفافاً بالحرمة ، وقلة شكر النّعمة ، قد أخرب البلاد ، وأضاع الأجناد ، وأظهر الْفَسَاد ، وأخرج الناس من سَعَة العدل إلى ضيق الْجَوْر ، حتى باعوا الطّارف والتّلاد ، وهموا ببيع النسل والأولاد . فقال هشام : ياأَعْرابي ، أحَقّاً ماتقول ؟ قال : نعم ، والذي بلّغك أعلى مراتب الشرف ، والله لو كان على سُويقة من أسواق البحرين ماأجزأها ، مع أنه يخلط ذلك بلؤم الحسب وذفر النّسب وسوء الأدب .

٣٢١ ـ رجل

من جُلَساء هشام بن عبد الملك .

قال الْعُتْبي : كان عند خالد بن عبد الله ذاتَ ليلة فُقَهاء مِنْ أهل الكوفة ، فيهم أبو حمزة الثُّمالي . قال خالد : حدّثني حديثاً كحديث عشيق ليس فيه فحش . فقال أبو حمزة : زعموا أنه ذُكر عند هشام بن عبد الملك غَدْرُ النّساء وسرعة تزويجهن فقال هشام : يبلغني من ذلك العجب . فقال بعضُ جُلَسائه : أنا أحدثك عما بلغني . كان رجل يقال له غَسّان بن جَهْضم بن الْعَنْدَافر ، كانت تحته ابنة عَمٍّ له يقال لها أُم عُقبة بنت عمرو بن الأَبْجَر ، وكان لها مُحباً ، وهي له كذلك ، فلما حضره الموتُ ، وظن أنّه مفارق الدُّنيا قال ثلاثة أبيات ، ثم قال : ياأُم عُقْبة ، اسمعي ماأقول ، وأجيبيني بحق ، فقد تاقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك بعدما تواريني التُّراب . فقالت : قل ، فوالله لاأجيبك بكذب ، **ولأجعلنه آخر حظّك مني . فقال وهو يبكي بكاء يمنعه من الكلام : [من الخفيف]**

---

(١) مستدركة على هامش الأصل .

أخبريني مـــاذا تريـــدين بعـــدي ... والـــذي تضرين يـــاأم عقبَـــهْ
تحفظيني من بعـــد مـــوتي لِمَـــا قـــد ... كان مني من حسن خلـــق وصحبـــه
أم تريـــدين ذا جمـــال ومـــال ... وأنـــا في التراب في سجن غربَـــهْ

فأجابته ببكاء وانتحاب : [من الخفيف]

[١٢٢/ب]قد سمعنا الذي تقول وما [قد][1] ... خِفْتَـــه يـــاغســـان من أم عقبـــه
أنـــا من أحفـــظ النســـاء وأرعـــاه ... لمـــا قـــد أوليت من حسن صحبـــه
ســـوف أبكيـــك مـــاحييت بشجـــو ... ومراثٍ أقـــولهـــا وبنـــدبَـــهْ

فلما قالت ذلك طابت نفسه ، وفي النفس مافيها فقال : [من الخفيف]

أنـــا والله واثـــق بـــك لكن ... ربمـــا خفت منـــك غـــدر النســـاء
بعـــد مـــوت الأزواج يـــاخير من عـــو ... شِرَ فـــارعَيْ حقي بحسن الـــوفـــاء
إنني قـــد رجـــوت أن تحفظي العهـ ... ـــد فكـــوني إن مت عنـــد الرجـــاء

ثم مات ، فلم تلبث بعده إلاّ قليلاً ، وخطبت من كل جانب ، ورغب فيها الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، من العقل والجمال والعفاف والحسب ، فأجابتهم : [من الطويل]

ســـأحفـــظ غســـانـــاً على بُعْـــد داره ... وأرعـــــاه حتى نلتقي يـــوم نُحْشَرُ
وإني لفي شغـــل عن النـــــاس كلهم ... فكفـــوا ، فمـــا مثلي بمن مـــات يغـــدِر
ســـأبكي عليـــه مـــاحييت بعبرة ... تجـــول على الخـــــدَّين مني فتكثر

فأيس الناس من إجابتها ، ومرَّت بها الأيام فنسيت عهده وقالت : من مات فات . فأجابت بعض خُطَّابها ، فتزوَّجها ، فلما دخلت عليه جاءها غسَّان في النَّوْم فقال : [من الطويل]

غـــدرت ولم ترعَيْ لبعلـــك حرمـــة ... ولم تعرفي حقـــاً ولم تحفظي عهـــدا
ولم تصبري حـولاً حفـاظـاً لصـاحب ... حلفت لـه يـومـاً ولم تنجـزي وعـدا

---

(١) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٥/١٩ ب .

غـدرت بـه لمـا ثـوى في ضريحـه كـذلـك يُنسى كلُّ من يسكن اللحـدا

فانتبهت مرتاعة ، مستحيية منه ، كأنه بات معها في البيت ، وأنكر ذلك من حَضْرها من نسائها ، فقلن : مادهاك ؟ فقالت : ماترك غَسّان لي في الحياة إرْباً ، ولا بعده رغبة في سرور ، أتاني في منامي السّاعة فأنشدني كذا وكذا . وهي تبكي بدمع غزير ، فلما سمعن منها ، أخذن في حديث آخر لتنسى ماهي فيه ، فتغافلتهن ، ثم قامت [١٢٣/آ] فلم يُدْركنها حتى ذبحت نفسها حياء مما كادت تركب بعده من الغدر به . فقالت امرأة منهن : بلغنا أن امرأة أتاها زوجها في المنام فلامها وأنّبها في مثل هذا ، فأما القتل فما سمعنا به ، وكانت قائلة هذا صاحبة شعر ورجز فقالت : [من المجتث]

مـــاذا صنعتِ ومـــاذا لقيتِ من غَسّـــانِ
قَتَلْتِ نَفْسَـــكِ حـزنـــاً يـــاخيرة النســـوانِ
وفيت مِنْ بعـدِ مـاقـد همتِ بـــالعصيـــانِ
إن الـــوفـــاءَ من اللـ ـــــه لم يَـــزَلْ بمكانِ

فلما بلغ زوجها ، ويقال له المقدام بن حبيش وكان أُعجب بها فقال : ماكان لي مستمتع بعد غسان ، وقال : هكذا فليكن النساء في الوفاء، وقَلَّ من يحفظ مَيْتاً ، إنما هي أيام قلائل [حتى يُنسى وعنه يُسْلى][1] فقال هشام : صدق وبر ، لجاد ماأدركه عقله ، وحسن عزاؤه حين فاتته طلبته ، وأحسنت المرأة ووفت ، وأحسن الرجل وصبر .

٣٢٢ ـ شيخ من الشّام

كان في صَحابة هِشَام بن عبد الملك .

سأله أبو جعفر المنصور عن تدبير هشام في بعض حروبه للخوارج ، فوصف الشيخ له فقال : فعل رحمه الله كذا ، وصنع رحمه الله كذا ، قال له المنصور : قم ، عليك لعنة الله ، تطأ بساطي ، وتترحم على عدوّي ؟ فقام وهو يقول : إن نعمة عدوك لَقِلادة في عنقي لا يَنْزِعُها إلاّ غاسلي . فقال له المنصور : ارجع ياشيخ . فرجع فقال : أشهد أنك نهيض

(١) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٧٦/١٩ آ .

حرّ[1] ، وغِراس شريف ، عُدْ إلى حديثك . فعاد الشيخ في حديثه . فلما فرغ دعا له بمال فأخذه وقال : ياأمير المؤمنين ، مابي حاجة إليه ، ولقد مات من كنت في ذكره ، فما أحوجني إلى وقوف في باب أحد بعده ، ولولا جلالة أمير المؤمنين وإيثار طاعته مالبست لأحد بعده ثوباً . فقال له المنصور : مت إذا شئت ، لله أنت ، فلو لم يكن لقومك غيرك كنت قذ أبقيت لهم مجداً مخلداً ، وذكراً باقياً .

وقيل : إن الربيع هو الذي قال له : كم تترحم على عدو أمير المؤمنين ! ! فقال له الرجل : مجلس أمير المؤمنين أحَقُّ المجالس بشكر المحسن ، ومجازاة المجمل . فقال له المنصور : أحسنت بارك الله عليك ، وبحسن المكافأة تُستحق الصنائع [١٢٣/ب] وتزكو العوارف . ثم أدخله في خاصّته .

٣٢٣ - رجل

مِنْ أصحاب هشام .

قال الزُّهْري : لقد تكلّم اليوم رجل عند أمير المؤمنين ، ماسمعت كلاماً أحسن منه . قال له : ياأمير المؤمنين ، اسمع مني أربع كلمات فيهن صلاح دينك وملكك وآخرتك ودنياك . قال : ماهن ؟ قال : لاتَعِدَنَّ أحداً عِدَةً وأنت لاتريد إنجازها ، ولا يغرنك **مرتقى سهل إذا كان المنحدر وَعِراً ، واعلم أنَّ للأعمال آخراً فاحذرِ العواقب ، وأنَّ الدهر تارات فكن على حذر .**

٣٢٤ - رجل عَلَوي

كان فصيح اللسان ، بليغاً ، استأذن على هشام بن عبد الملك فأذن له ، وهو في موضع مشرف ، وأمر أن يُعْجل به ليقطعه ذلك عن بلاغته ، فلما دخل على هشام سَلَّم . فقال : إيها تكلَّمْ . قال : حتى يذهب عني بُهْر[2] الدرجة ، وبهجة الخلافة .

---

(١) على هامش الأصل حرف (ط) .

(٢) البهر : تتابع النَّفَس من الإعياء . اللسان : بهر .

٣٢٥ ـ أَعْرابي
من بني أسد

دخل على هشام بن عبد الملك فسلَّم ثم قال : ياأمير المؤمنين ، أتت علينا سِّنون ثلاث ذهبت بالأموال ، ونحتَتِ القلوب ، أما الأُولى فأذابت الشَّحم ، وأما الثَّانية فنَخَصَت[1] اللحم ، وأما الثالثة فهاضَت العظم[2] ، وفي يديك فُضول أموالٍ ، فإن تك لله فبثَّها في عباد الله ، وإن تك لهم ، ففيمَ تحبسها عنهم ؟ وإن تكن لك فتصدَّق علينا ، إن الله يجزي المتصدقين ، **فأمر له بعشرة آلاف دِرْهم . فقال : والله لأقبلها ، لبئس وافد القوم أنا إذاً إن ذهبت إلى قومي غنياً وهم فُقَراء . فكتب هشام إلى خالد بن عبد الله القَسْري يحمل إلى البادية ما يكتفون به .**

وقيل : إن الأَعْرابي قال وقد أَمَر له هشام بمال ، وقسم بين الناس مالاً فقال : أكلُّ المسلمين له مثل هذا ؟ قال : لا يقوم بذلك بيت المال . قال : فلا حاجة لي فيما آخذ من بيت مال المسلمين ، ولا يأخذه غيري . فمضى وتركه .

٣٢٦ ـ رَجُلٌ

بلغ هشام بن عبد الملك عنه كلام فأُتيَ به [١٢٤/آ] فتكلم بحجته فقال هشام : أو تتكلم أيضاً ؟ فقال : ياأمير المؤمنين ، إن الله عز وجل يقول : ﴿ يَوْم تأتي كلُّ نَفْسٍ تُجَادِل عن نَفْسِها ﴾[3] أفنجادل الله جدالاً ولاتُكلِّم أنت كلاماً ؟ ! قال : تكلَّمْ بما أحببت .

٣٢٧ ـ شيخ راجز

من بني وَالبة من بني أسد .

قال محمد بن حرب الْهِلالي : خرجت أريد مكة ، فنزلت بحي من بني أسد ، ثم من بني

---

(١) أي أهزلت : اللسان : نخص .

(٢) أي كسرت : اللسان : هيض .

(٣) سورة النحل : ١١١/١٦

والبة ، فإذا أنا بشيخ كبير السن ، حسن اللِّباس ، فسألته عن سِنّه ، فقال : خلفت مئة وعشرين سنة . فسألته عن طُعْمه . فقال : ماأزيد على الصَّبوح والْغَبُوق شيئاً . فسألته عن الباه فقال : أيْهات[1] ، وفدت على هشام وهو في رَصَافته ، فسألني عن طُعْمي ، فقلت : **الصَّبوح والْغَبُوق ، وسألني عن الباه ، فقلت : إن لي لثلاث نسوة ، بت عند إحداهن ليلة ، وأصبحت غادياً إلى الأُخرى وفي رأسي أثر الغسل ، فقالت : امطِ عني ، أفرغت ما في صلبك .** فقلت : لأوفينَّك ماوفيتها . فلاعبتها وتوركتها ، فلما أردت الإنزال أخرجته وأمسكته ، فنزا الماء حتى حاذى رأسها ، فقلت : أيكون هذا ممن أفرغ ما في صلبه ؟ ! ثم تناولتُ عشر حَصَيات ، فكلما صرت إلى الفراغ ناولتها حَصَاة ، حتى أتيت على العشر ، فسألتها : كم في يدك ؟ فقالت تسع . فقلت : لا ، بل عشر . فقالت : لاأحسب لك مالم تصل إليَّ . فضحك هشام حتى استلقى على فراشه . ثم إني سألته : كيف أنت اليوم ؟ فقال : إني لأظل اليومين والثلاثة ، وما في الثاني [طائل][2] ثم ضرب بيده فخذه . وقال : [من الرجز]

قد كبرتْ بعد شبابٍ سني ... وأضعف الأَزْلم[3] مني ركني
والدهر يبلي جدَّه ويفني ... وأعرضت أم عيالي عني
إذ عَزَّ عندي ماتريد مني ... وقالت الحسناء يوماً ذرني
ولم ترد ذرني[4] ولكن نكني ... لكنها عن ذاك كانت تكني

٣٢٨ ـ رَجُل

من ولد خَبَّاب .

وفد على هشام بن عبد الملك .

[١٢٤/ب] خرج رجل من ولد سعيد بن العاص ، ورجل من ولد أبي مُعَيْط

---

(١) أي هيهات . اللسان : أيه .

(٢) في الأصل بياض ، وفي تاريخ ابن عساكر س : ١٩/ ١٧٧ آ ظانك ، وإخالها تصحيف طائل . وعلى الهامش حرف (ط) .

(٣) أي الدهر . اللسان : زلم .

(٤) في الأصل : زدني ، وهو تصحيف .

يريدان هشام بن عبد الملك ، فلحقهم رجل من ولد خَبَّاب بن الأَرَتّ ، فقيل للسَّعِيدي : أين تنزل ؟ قال : على آل أبي أُحَيْحَة . وقيل للمُعَيْطي : أين تنزل ؟ قال : على آل أبي مُعَيْط . وقيل للخَبَّابي : أين تنزل ؟ قال : لاأدري ، ولكن أنزل على ربي . فقعد على باب هشام ، وجاءت هدايا من عند ابن الْحَبْحاب[1] ؛ عامل مصر ، فأُدخلت على هشام ، فأخذ الْخَبَّابي رِزْمة ودخل ، فلما صار بين يديْ هشام ، انتسب له ، فما أمسى حتى كتب **ثلاث صحائف إلى عامل المدينة ؛ صحيفة بجائزته ، وصحيفة بقطيعته ، وصحيفة بأرزاقه . وبقي السَّعيدي والْمُعَيْطي يَغْدوان ويروحان .**

٣٢٩ ـ مولى لِمَسْلَمَة بن عبد الملك

قال : حدَّثني مَسْلمة قال :

دخلت على عمر بن عبد العزيز بعد صلاة الفجر في بيت كان يخلو فيه بعد الفجر ، فجاءته جارية بطبق فيه تمر صَيْحاني ـ وكان يعجبه التمر ـ فرفع بكفيه منه فقال : يا مسلمة ، أترى لو أنّ رجلاً أكل هذا ، ثم شرب عليه ماء ، والماء على التمر طيب ، أكان يجزئه إلى الليل ؟ قلت : لاأدري . قال : فرفع أكثر منه ، فقال : فهذا ؟ فقلت : نعم ياأمير المؤمنين ، كان كافيه دون هذا حتى ما يبالي ألا يذوق طعاماً غيره . قال : فعلام يدخل النار ؟ ! قال مَسْلمة : فما وقعت مني موعظة ماوقعت مني هذه .

٣٣٠ ـ شَاعر

مِنْ قُرَيش .

كانت للوليد بن يزيد جارية ، يقال لها : صَدُوف ، فغاضبَها ، ثم لم يطعْه قلبه ، فجعل يتسبَّب بصلحها ، فدخل عليه رجل قُرَشي مِنْ أهل المدينة ، فكلَّمه في حاجة وقد عرف خبره ، فَبَرِمَ به ، فأنشده : [من الكامل]

---

(١) في الأصل : الحباب ، وهو تصحيف . وعبيد الله بن الحبحاب كان على خراج مصر زمن هشام . انظر ولاة مصر : ٩٥ ـ ٩٨ .

أعَتَبْتَ أن عتبتْ عليـــك صَـــدُوفُ ... وعِتـــابُ مثلِـــك مثلَهـــا تشريفُ
لاتَقْعُـــدَنَّ تلـوم نفســـك دائبـــاً ... فيهـــا وأنت بحبِّهـــا مشغـــوفُ
إن القطيعـــةَ لا يقـــوم بمثلهـــا ... إلاّ القـــــويّ وَمَنْ يحبُّ ضعيف
الحبُّ أمْلَـــك بـــالفتى من نفســـه ... والـــذُّلّ فيـــه مَسْلَـــكٌ مـــألوفُ

[١٢٥ /آ] قال : فضحك ، وجعل ذلك سبباً لصلحها ، وقضى حوائج الْقَرَشي كلّها .

٣٣١ ـ شاعر

قال الفضل بن الْوَضّاح ، صاحب قصر الوضاح :

خرجت مع المنصور إلى مروان بن محمد ، فصحبنا في الطريق رجل ضرير كان عنده أدب ومعرفة فاستجلاه المنصور وقال له : مَنْ تقصد ؟ قال : أمير المؤمنين مروان . قال : في أي شيء ؟ قال : في شعر امتدحته به . قال : أنشدنيه . فأنشده : [من الخفيف]

ليت شعري أفـــاح رائحـــة المســـ ... ـك وما إن إخال بـالخَيْف[1] أُنسي
حين غـــابت بنـو أميـــة عنـــه ... والبهـــاليـل[2] من بني عبـــد شمس
خطبـــاءٌ على المنـــابر فرســـا ... ن عليهـــا وقـــالـــة غير خُرْس
لا يعـــابـون صـــامتين وإن قـــا ... لـوا أصـــابـوا ولم يقـولـوا بلبس
بحلـــوم إذا الحلـــوم استُخِفَّتْ ... ووجـوه مثـل الـــدنـــانير ملس

قال المنصور : فما أتّمها حتى ظننت أن العمى قد أخذني من حسدي بني أمية عليها .

ثم حَجَّ المنصور سنة ثلاث وأربعين ومئة وهو خليفة ، وكان قد نوى أن يمشي حتكاً[3] وروداً[4] ، فإنه ليمشي إذ بصر بالضرير فأتي به فقال : ماصنع بك مروان ؟ قال : أغناني فلا أسأل بعده أحداً شيئاً . قال : ماأعطاك ؟ قال : أعطاني أربعة آلاف دينار ، وعشرة

---

(١) بطحاء مكة . انظر معجم البلدان : ٤١٢/٢

(٢) مفردها بهلول ، وهو العزيز الجامع لكل خير . اللسان : بهل .

(٣) الحتك : أن يقارب الخطو ويسرع رفع الرِّجْل وَوَضْعَها . اللسان : حتك .

(٤) الرود في المشي : أي على مهل . اللسان : رود .

غِلْمان ، وعشر جوار ، وحملني على عشر من الدواب ، وأوقر لي خمسة أبغل خُرْثِياً[1] ثم تَنَفَّس الصُّعَداء ، وأنشأ يقول : [من الكامل]

آمت نســـاء بني أميـــة منهم ... وبنـــاتهم بمضيعـــةٍ أيتـــامُ
نـامت خـدودهُمُ وأُسقـط نجمهم ... والنجم يسقـط والخـدود تنـامُ
خلت المنـــابر والأسرّة منهم ... فعليهم حتى الممات ســـلامُ

فقال له أبو جعفر المنصور : أما تعرفني ؟ قال : ماأُنكرك من سوء ، مَنْ أنت ؟ قال : أنا أمير المؤمنين المنصور . فأخذ الضَّرير أُفكَل - يعني الرِّعْدة - وقال : ياأمير المؤمنين ، إن القلوب جُبلت [١٢٥/ب] على حُبِّ من أحسن إليها ، وبُغْض من أساء إليها . قال . صدقت ، خلوا عنه ، ثم تتبعته نفسه بَعْدُ فطلَبه ، فكأن البيداء بادت به .

٣٣٢ - رجل

من ولد أبي سُفْيان . به وضَح[2] ومرض .

ذكر لعبد الله بن علي بن العَبَّاس أنه قال : أنا السُّفْياني الذي يَذْهب ملك بني العَبَّاس على يده . فطلبه عبد الله فتوارى ، فأمر عبد الله بإخراج نساء أبي سُفْيان والتماسه فيهن ، فلما هَتَك الحرم ، وافى باب عبد الله بن علي على بغلٍ ومعه ابناه على فرسين . فقال للحاجب : عبد الله هذا جالس ؟ ولم يقل الأمير . قال : لا . قال : أفتأذن في الجلوس إليك ؟ قال : نعم . فنزل ونزل ولداه ، فجلسوا مع الحاجب . فرأى الحاجب أحسن خلق الله حديثاً ، وأحلاهم كلاماً ، فغلب على قلبه ، ثم عرف الحاجب جلوس عبد الله ، فدخل إليه ، فذكره له ، ثم خرج إليه . قال : يقول : مااسمك ؟ قال : قل له رجل يأتيك بما تحب . فخرج فقال : فتِّشْه وأَدْخله . فدخل ، فقال له : مالمن دَلّك على فلان - وذكر اسمه - من الجائزة ؟ قال : حكمه . قال : فأنا فلان ، وهذان ابناي ، فما دعاك إلى أن برزت أسْوُق[3] بنات عمك يراهنَّ أنباط الشَّام في طلبي ؟ قال عبد الله : أتدري ماقال شاعرنا ؟ قال : لا . قال : فإنه يقول : [من الخفيف]

---

(١) الخرثي : متاع البيت وأثاثه . اللسان : خرث .
(٢) الوضح : البرص . اللسان : وضح .
(٣) جمع ساق . اللسان : سوق .

جرِّدِ السَّيْفَ وارفــع السَّـــوْط حتى لاترى فَـوْقَ ظَهْرِهَـــا أُمـويّـــا[1]

قال : شاعركم قال لكم ماتحبون ، أفتـدري مـاقـال شـاعرنـا ؟ قـال : لا . قـال : إنـه يقول : [من البسيط]

شُمْسُ الْعَـــدَاوة حتى يُسْتَقَـــادَ لهم وأعظَمُ النَّـاسِ أحـلامـاً إذا قَـدَرُوا[2]

وأنا أعلم إن حكمتُ بما لاتهواه أنـك لاتجيز حكمي ، فتركتـك . قـال : اقتلوه . قـال : فإن كنت فاعلاً فابنيَّ قبلي ، فقتلا ثم قُتل من بعدهما ، رحمهم الله .

٣٣٣ ـ شيخ من كُتَّاب بني أميَّة

قال عبد الله بن سوار :

كنت غلاماً أكتب بين يدي يحي بن خالـد ، فـدخل عليـه شيخ ضخم ، جميل الهيئـة [١٢٦/آ] فأعظمه يحي وحـادثـه ، وقـال لـه : مـابـالكم كنتم تكتبون الكتب إلى عمـالكم في أموركم فلا تطيلون ، وإنما الكتاب بقدر الْفَضْل من كتبنا ، ونحن نطيل إطالةً لا يمكننـا غير ذلك ؟ فقال : اعفني . فأبى إلاَّ أن يجيبه . فقال : وأنت غير ساخـط ؟ قـال : نعم . قـال : إن بني أمية كانت لاتكتب في الباطل أنّه حق ، ولافي الحق أنـه بـاطل ، ولاتعقب أمراً قـد نفذ بخلافه أمر ، فلا يحتاجون إلى الإطالة والتلبيس وطَلَب المعاذير ، وإنكم تكتبون في الحق أنه باطل ، والباطل أنه حق . ثم تعقبون ذلك بخلافه ، فلا بُدَّ لكم من الإطالة .

فسئل عن الشَّيْخ فقال : كاتب من كُتَّاب بني أمية القدماء ، من أهل الشَّام .

٣٣٤ ـ رجل مِنْ دمشق

جلس كَعْب الأَحْبار يوماً يقُصُّ بدمشق ، فلما فرغ قـال : إنَّـا نريـد أَنْ نـدعو ، فمن كان منكم يؤمن بالله وكان قاطعاً إلاّ قام عَنّا ، فقام فتى من القوم ، فولّى إلى عمةٍ له كان بينه

(١) البيت لسُـدَيف بن ميـون ، وكان مـولى بني العبـاس وشـاعرهم . انظر ترجمتـه في الشعر والشعراء : ٧٣٧/٢ ـ ٧٣٨

(٢) البيت للأخطل ، وهو في ديوانه : ٢٠١/١

وبينها محرم فصالحها . فقالت : مابدا لك ؟ قال : سمعت كعباً يقول كذا وكذا ،وقال كعب : إن الأعمال تعرض كل يوم خميس واثنين إلاّ عمل قاطع يتجلجل بين السَّماء والأرض .

٣٣٥ ـ رجل

من مُحَارب . سمع من كعب يقول : يلتقون بعمق عكا فيقتتلون ، ثم يتهايبون وينحازون ، ثم يقتتلون ثم يتهايبون حتى ينتهوا إلى عَمْق أنطاكية فيقيمون به لا ينهزم هؤلاء ولا هؤلاء ،ويبعث المسلمون فيستمدون إلى عدن أبين[1] ، ويبعث الروم إلى من يمدهم من رومية .

٣٣٦ ـ رجل

حكى عن كَعْب الأحبار . قال الشَّعْبي :

لما قدمت الشَّام نزلت بعبد العزيز بن مروان ، فبينا أنا في المسجد دخل شيخ قصير أحمر أصلع فاشرأبّوا له فقالوا : هذا عَلاَّم العلماء. فجعل يجلس في الْحَلَق ، ويتنقل فيها ، فقلت : اللهم جئ به .فجاء فجلس في الْحَلْقة التي أنا فيها ، فقال : حدِّثنا ذو الكتابين أن السماء على منكب ملك . قلت : أكْذَبَك [١٢٦/ب] كتابُ الله . فكادوا أن يثوروا إليّ ـ أو ثاروا إليّ ـ وقالوا : ماتريد إلى ضيف أمير المؤمنين ؟ قال : فترادُّوا ثم قال : حدثنا ذو الكتابين أن صوراً بالمشرق وصوراً بالمغرب ، فينفخ في أحدهما فيموت الناس ، وينفخ في الآخر فيحيون . فقلت : أكذبك كتاب الله . فكادوا أن يثوروا ـ أو ثاروا ـ ثم ترادّوا وقالوا : ماتريد إلى ضيف أمير المؤمنين ؟ فقلت لهم : ماتعجبون من أن أكذِّب من أكذبه الله ؟ ! زعم هذا أن السماء على منكب ملك ، والله تعالى يقول : ﴿ رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ﴾[2] وزعم أنّ صوراً بالمشرق وصوراً بالمغرب يُنفخ في أحدهما فيموت الناس ، وينفخ

---

(١) عدن مدينة مشهورة على ساحل بحر العرب من ناحية اليمن ، وتضاف إلى أبين ، وهو خلاف عدن من جلته . انظر معجم البلدان : عدن .

(٢) سورة الرعد : ٢/١٣

في الآخر فيحيون ، والله تعالى يقول : ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمواتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَنْ شاء الله ثُمَّ نُفِخَ فيه أُخْرى ﴾[1] إنما هو واحد . فقال لي : ممن أنت ؟ فأخبرته . فقال : أما إن ذا الكتابين حدثنا أن نساءكم سيُسْبَيْن فيؤتى بهن حتى يوقفن على الدرج ، ويكشف عن سَوقهن . فقلت : إني أرجو أن تكون الآخرةُ مثل الأوليين .

٣٣٧ ـ رجل

[2]قال ربيعة بن يزيد : قعدت إلى الشَّعْبي في خلافة عبد الملك ، فحدَّث[2] رجل من الصحابة[3] أو من التابعين حَدَّث عن رسول الله ﷺ قال : اعبدوا ربكم ولا تشركوا به شيئاً ، وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأطيعوا الأمراء ، فإن كان خيراً فلكم ، وإن كان شراً فهو عليهم ، وأنتم منه براء . فقال الشَّعْبي : كذبت .

٣٣٨ ـ مَوْلى

لبني نِمْران قال : رأيت مُقْعَداً بتبوك فسألته عن إقعاده فقال : كان رسول الله ﷺ يصلي ، فمررت بين يديه فقال : قطع صلاتنا قطع الله أثره . قال : فأُقعدت . قال : وكان على أتان أو على حمار .

٣٣٩ ـ شيخ

مِنَ السَّكاسِك[4]

حدَّث عن عمرو بن قيس قال :

ولاَّني عمر الصَّائفة وأوصاني بتقوى الله ، وبالمسلمين خيراً ، وقال : إن رابطت حصناً فلا تقم عليه إلاّ يوماً وليلة ، فإن طمعت فيه وإلاّ فارتحل ، فإن أرادوك على ما في يديك

---

(١) سورة الزمر : ٦٨/٣٩

(٢ـ٢) مستدرك على هامش الأصل .

(٣) من الصحابة ، مكررة في الأصل .

(٤) بطن من كندة . جمهرة أنساب العرب : ٤٣١ ، ٤٣٣

من أساراهم رجلاً برجل [١٢٧/آ] فافْدِه ، فإن أبوا فرجل برجلين ، فإن أبوا فرجل بثلاثة ، فإن أبوا فأعطهم جميع ما في يدك برجل مِنَ المسلمين .

٣٤٠ ـ رجل من دمشق

حدّث عن إسماعيل بن عبيد الله عن عبد الله بن عمرو قال :

من قرأ القرآن فكأنّما استدرجت النُّبوة بين جنبيه إلاّ أنّه لا يوحى إليه ، ومن قرأ القرآن فرأى أن أحداً من الخلق أُعطي أفضل مما أُعطي فقد حقّر ماعظم الله ، وعظم ما حَقّر الله ، ليس ينبغي لحامل القرآن أن يجهل فيمن يجهل ، ولا يجد فيمن يجد ، ولكن يعفو ويصفح لحقّ القرآن .

٣٤١ ـ شيخ

من دمشق .

حدّث عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة الأنصاري عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ :

(١)العلم فريضة على كلّ مسلم .

٣٤٢ ـ شيخ

من دمشق

قال : طلقت امرأة لي كان وجهها ذَرِباً وجسدها رحباً ، فدخل عليّ سارق بالليل ، وثيابي عند رأسي ، فذهب إلى المِشْجَب فلم يجد شيئاً ، فلما رأى ذلك بسط كِساءه ، ثم دخل إلى خابية الدقيق ، فجذبت الكِساء فجعلته تحت رأسي ، ثم خرج بالدّقيق ، فصبّه في الأرض ، وطلب طرفي الكساء ، ثم جعل يجمعه ، فلم يجد الكساء ، فخرج . فقلت له :

---

(١) على هامش الأصل : يعني طلب .

أغلق الباب ، لا يخرج القط . قال : من حسن صنيعك بي . قلت : ليس هذا وقت عتاب . قال : فبعت الكساء بخمسة دراهم .

٣٤٣ ـ شيخ من دمشق

كان فيمن غزا مع مَرْوان بن محمد إلى الخَزَر .

قال : فسحنا في بلادهم نسبي من أدركناه ، ولم نلق لهم جمعاً ، فشكوت إلى بيطار العسكر سُعالاً بفرسي ، فأمر لي بورق القَصْباء[1] الأخضر ، فذهبت أنظر ، فإذا بغيضة من قصب بيننا وبينها نحو أربعة أميال ، فخرجت إلى الغيضة ، فبينا أنا آخذ من الورق إذا أنا بين رؤوس القصب ببريق الأسِنَّة خلف القصب ، فقمت على سرجي لأتمكن من النظر [١٢٧/آ] فإذا بجَرَّة سوداء من القَنَا ، فعدوت على فرسي وأخبرت مروان ، فدعا بعض هضائلة[2] أرْمينية فأخبرهم . فقالوا : هذا فلان الطَّرْخان[3] ، عامل هذه البلاد ، وأساورته[4] عشرة آلاف ، نحن نرى أن ضعف رأيه ، ونظره لنفسه دعاه إلى أن كمن في هذه الغيضة ، ليشُدّ على ساقة العَسْكر . فأمر مروان قائداً من قوّاده ليخرج في أصحابه ، فنودي في العسكر : من أراد الأجر والغنيمة فليلحق بفلان . فسار إليهم ، فوقف على باب مدخل الغيضة ، وأتوا بالنيران والنِّفط ، فألقي في الغيضة ، وهاجت الريح بالنَّار ، ودخل المسلمون بالسيوف ، وأهلكهم الله جميعاً حريقاً وقتلاً وأسراً ، وأسرنا طَرْخانهم أسيراً ، فضربت عنقه ، ونُفِذ برأسه ورؤوسٍ من أصحابه إلى هشام .

---

(١) القصباء : جماعة القصب ، واحدتها قصبة وقصباءة . اللسان : قصب .

(٢) الهيضلة : الجماعة المتسلحة أمرهم في الحرب واحد ، وكأن المعنى هنا « القواد » .

(٣) طرخان : اسم للرجل الشريف بلغة أهل خراسان . اللسان : طرخ .

(٤) أي فرسانه . اللسان : سور .

٣٤٤ ـ شيخ

مِنْ دمشق .

حَدَّث عن موسى بن وَرْدان

وخرج إلى نفير إلى الإسْكَنْدرية فقال له أصحابه : هذا يوم الإسكندرية . قال : لا ، إنما يوم الإسكندرية إذا رأيت أهل مصر قد خافوا من مسير النُّوبة إليهم ، ورأيت أهل الفُسْطاط قد ضربوا عليهم الخندق ، وجعلوا حَرَساً فيما بينهم وبين أرض النُّوبة .

قال موسى بن وَرْدان : وذلك أن صاحب الروم يكتب إلى صاحب النُّوبة ـ وهو على النَّصْرانية ـ يستنفره ، فيعِده ذلك ويواعده وقتاً ، فيعجّل الرُّوم بالخروج إلى الإسكندرية ، ويبطئ النُّوبة عن الخروج ، فإذا كان ذلك سار المسلمون إلى الإسكندرية ، فيقاتلون بها ، فينصرهم الله ، ثم يرجعون ، ويخرج عليهم النُّوبة .

٣٤٥ ـ شيخ مِنَ البَلْقَاء

قال : لما التقوا بين مؤتة وعُمْقة تقدم زيد يسوّي الصفوف فجاءه سهم غَرْب[1] فقتله ، وأخذ الرّاية جَعْفر .

٣٤٦ ـ شيخ

كان في عسكر الجَرّاح بن عبد الله الحَكَمي حين قاتل التُّرْك .

قال : لما قُتل [١٢٨/آ] الجَرّاح استعصينا ، وجرّدْنا سيوفنا ، فأوجعنا في القوم ، فقال لهم الطّاغية : إنكم لن تصلوا إلى قتلهم حتى يقتلوا أصحابكم ، فأفرجوا لهم ، ثم اتبعوهم في الشِّعب . قال : فلحقت بالجبل ، فإذا بقرية الجلى أهلها ، فلقيت بيتاً فدخلته ، فإذا فيه أثر نار وحطب ، فأوقدت وجلست وبي جَهْد شديد ، فلم ألبث حتى سمعت صهيل الخيل ،

---

(١) أي لايعرف راميه . اللسان : غرب .

وإذا بخيل التُّرْك ، فدخلت وأطفأت النار ، وأقبل رجل فتتبع النار حتى وجدها ، وظن أن في البيت أقواماً ، فجعل يأخذ في زاوية ، وآخذ في أُخرى ، ثم سَلَّ سيفه فقلت : لئن خرجت لأُقطِّعَنَّ . فاستأسرت له ، فأخذ بناصيتي ، وأجلسني عند النار ، وأشار إليَّ أن أوقد ، فأوقدت ، ونظرني فعرفت الرقة قال : وبي جَهْد . فأتاني بكِسَرٍ فأكلت ، ثم ضربوا طبولهم ، فأسرج وركب وأردفني خلفه ، وتركهم حتى ساروا ، وسار بي قدر أربعة أميال ، ثم وقف وأشار إلي ، فنزلت ، وأشار إليَّ ؛ اذهَب كيف شئت .

قال : فبينا نحن عند الحَرَسي وهو يقتل الأسارى إذ نظرت إليه فعرفته ، فقلت له : أتعرفني ؟ قال : نعم . فتقدَّمت إلى الحرسي فقصصت عليه أمري ، فدعاه وكلَّمه التُّرجمان ، فأخبره بمثل خبري . فقال : قد حقنَّا لك دمه ، وبعثني وبعث به إلى هشام ، فأخبره الخبر ، ففرض له في قبيلي ، فكان في عِدَادي .

٣٤٧ ـ شيخ من موالي بني فَزَارة

ثم لعمر بن هُبَيْرة .

حدَّث عن عُمر بن هُبيرة . قال :

كنا قد بلغنا من حصارهم مابلغنا ، وكان بنا من الأَزْل[1] والمرض نحواً مما بهم وأشد ، وكنت نازلاً بجماعة سفن على ساحلهم مما يلي عسكر المسلمين ، في مركبي ، فيه مبيتي الآن ، أركب إلى مَسْلَمة فأشهد أموره ، فإذا لم أركب خرجت في برد النهار إلى مجلس على تل مشرف على مراكبي وعلى عسكر المسلمين ويخرج إليَّ أمراء أجنادي ، وأهل الهيئة منهم ، فكان ذلك التل تلك الساعات لنا مجلساً ، فبينا أنا ذات غَدَاة عليه [١٢٨/ب] في جماعة ، إذا بقارب خرج من ميناء القُسْطَنْطينية ، وفيه رجال من الرُّوم عليهم الدِّيباج يقصد إلينا فقلت : رسول الطاغية إليَّ في أمرٍ يكلِّمني به ، فإن أتى في مجلسنا أشرف على رثاثة سفننا وسوء حالنا ، سره ذلك وازداد قوة علينا ، فقمت إلى مركبي فجلست وجلس معي أمراء أجنادي وأهل الهيئة ، وأمرت أهل السفن أن يواروا ماقدروا عليه من سوء حالهم . فلما دنوا

---

(١) الضيق والشدة . اللسان : أزل .

نادونا بالأمان ، وأقبل رسول الطَّاغية في أصحابه وهيئته ، وصعِدَ إليَّ فسلم ، وأذنت له فجلس وجلسوا ثم قال : إنا بعثنا لأمرٍ فنذكره لكم ، ورأيت منكم شيئاً عرفت به سوء حالكم ، وإنك أردت بقيامك عن التل ومجلسك الذي كنت فيه ألا آتيك فيه ، فأشرف على رثاثة سفنكم وسوء حالكم ، ثم تهيأت لي بما أرى مما ليس خلفه قوة ، وقد صرتم من حالكم إلى أسوأ مما نحن فيه ، إن الملك يقرأ عليك السَّلام ويقول : إنه كان من نزولكم علينا ، وإقامتكم إلى هذا اليوم ماقد علمتم ، وبلغ منا ومنكم ، وما أنتم فيه أشد ، وقد عرضت على مسلمة فِدْية صلح على كل إنسان بالقسطنطينية من رجل وامرأة وصبي ديناراً ديناراً على أن ترحلوا إلى بلادكم ، فإن شئتم اقتسمتم هذه الدنانير بينكم مَغْنماً ، وإن شئتم ذهبتم بها إلى خليفتكم ، فأدخله بيت ماله فصنع ماأراد . فأبى ذلك مَسْلمة علينا وسخطه ، وزعم ألاّ يبرح دون أن نؤدي الجزية عن صَغَار ، أو يدخله عَنْوة ، والصَّغَار ـ الجزية ـ مالاتطيب به أنفسنا أبداً ، وأنت من خليفتك ومن مسلمة ، ومن عِلْية العرب بالمنزلة التي أنت بها في الشرف والأمانة ، فانظر فيما عرضتُه على مَسْلمة ، فإن رأيته رأياً أشرت به عليه ورددته إليه . قال عمر بن هُبيرة : أصاب مسلمة ، وذلك ماأمرنا الله به ولا أخالفه فيه ، وأنا عونه عليه حتى يحكم الله بيننا وبينكم . فصلَّب على وجهه ، وانصرف مُغضباً .

٣٤٨ ـ شيخ مِنْ دمشق

[١٢٩/آ] حَدَّث عن العلاء بن عبد الرحمن ، عن أبيه ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

هذا الأمر في قريش يليه برهم ببرهم ، وفاجرهم بفاجرهم حتى يدفعوه إلى عيسى بن مريم .

٣٤٩ ـ شيخ

من أهل دمشق .

سمع عطاء الخُرَاساني يرويه عن رسول الله ﷺ قال :

يأتونكم في ثمانين غاية[1] ، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً ، الروم فيهم كالمخيلة غير أنهم الرؤوس والقادة .

٣٥٠ ـ شيخ

من قُدَماء الجُنْد ممن كان يلزم الجهاد .

حدّث أن أهل الشّام كانوا إذا غزوا الصَّوائف ينزلون أجْناداً كما كان أصحاب النبي ﷺ إذا ساروا إلى الشام ينزلون أرباعاً ، وكما كان بنو إسرائيل تنزل مع موسى عليه الصلاة والسلام وبعده أسباطاً . قال : وبين كل جند فرجة وطريق ومجال للخيل .

٣٥١ ـ شيخ

من الجُنْد ، أخبر عن أميرهم في غزاتهم أرض الروم أنه كان إذا وقف على الدرب قافلاً قال : الحمد لله الذي لم يجعلنا فتنة للقوم الظالمين ، ونجانا برحمته من القوم الكافرين .

٣٥٢ ـ شيخ

من أهل دُومَة الجَنْدَل

حدّث أن رسول الله ﷺ كتب لأُكَيْدر هذا الكتاب :

بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله لأُكَيْدر حين أجاب إلى

---

(١) الغاية : الراية . اللسان : غيا .

الإسلام ، وخلع الأنداد والأصْنام مع خالد بن الوليد سيفِ الله في دُومة الجَنْدَل وأكنافها : إن لنا الضاحية من الضَّحْل والبَوْر والمعامي ، وأغفال الأرض ، والحَلْقة والسلاح ، والحافِر ، والحصن ، ولكم الضَّامنة من النخل ، والمعين من المعمور بعد الخمس ، لاتُعْدَل سارحَتُكم ، ولا تعدّ فاردتكم ، ولا يحظر عليكم النبات ، ولا يؤخذ منكم إلاّ عُشر البتات[1] ، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك العهد والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء ، شهد الله ومَنْ حضر من المسلمين .

الضَّحْل : الذي فيه الماء القليل . والبور : ماليس فيه زرع . والمَعامِي : ماليست له حدود معلومة ، والأغفال : مثله . ولا تعد فاردتكم[2] : يعني مالم تبلغ الأربعين . والحافر : الخيل . والمعين : الماء الظاهر ، وقيل : الجاري . والضامنة من النخل : التي قد نبتت عروقها في الأرض[3] ، ولا يحظر عليكم النبات : لاتُمْنَعون أن تزرعوه . ولا تعدل سارحتكم : لاتُنَحّى عن الرعي . والنبات : النخل القديم الذي قد ضرب عروقه في الأرض ونبت .

وكانت دُومَة وأيْلَة وتَيْماء خافوا [النبي ﷺ] لما أسلمتِ العرب[2] .

[١٢٩/ب] ٣٥٣ ـ شيخ

من دمشق ، كان دَيْدَباناً يجلس على المنارة ، فنظر ذات ليلة رؤيا هالته ، كأنه نُصب على ظهر قبة المسجد رمح فيه كتاب بَيِّن ، ونصب فوق الرمح رمح فيه كتاب بين ، ونصب فوق الرمح رمح وفيه كتاب بين ، فإذا في الأول : إن المجرمين في سَقَر . وفي الثاني : طوبى لمن ابْتُلي فصبر . وفي الثالث : الملك لله من شاء نصر . فتاب ذلك الرجل توبة ، لم [يكن][4] يُعْرف بدمشق مثله .

---

(١) هكذا في الأصل ، وفي المغازي : ١٠٣٠/٣ : ولا يؤخذ منكم عشر البتات ، وهو الأشبه . والبتات : المتاع ليس عليه زكاة مما لا يكون للتجارة . اللسان : بتت .

(٢ـ٢) مستدرك على هامش الأصل . وما بين حاصرتين من المغازي : ١٠٣١/٣

(٣) كذا في الأصل ، وفي اللسان : ضمن (الضامنة من النخل : ماتضمنها أمصارهم وكان داخلاً في العمارة ، وأطاف به سور المدينة) .

(٤) مابين حاصرتين ليس في الأصل ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٨٢/١٩ ب .

٣٥٤ ـ شيخ

من أهل دمشق .

قال : كان يقال : إن دعتك نفسك يوماً إلى صحبة الرجال فلا تصحب إلاّ لمن إن صحبته زانك ، وإن حملته مؤونة مانك ، وإن رأى منك ثلمة سَدَّها ، وإن رأى منك حسنة عَدَّها ، وإن سألته أعطاك ، وإن تعففت عنه ابتداك ، وإن عاتبك لم يحرمك ، وإن تباعدت عنه لم يرفضك .

٣٥٥ ـ شيخ

من دمشق .

حدّث عن رجل من بني أُمية قال :

استعمل عمر بن عبد العزيز رجلاً على الصَّدقة يقال له زُرَيق ، أحمر كريه المنظر فرجع إلى عمر ، ولم يأته بشيء ، فقال عمر : أين مابعثناك فيه ؟ قال : أخذته من حيث أمرتني ، وجعلته حيث أمرتني . فقال عمر : ﴿ ولا أَقُول لِلَّذينَ تَزْدَرِي أَعْيُنَكُمْ لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللهُ خَيْراً ﴾[1] .

٣٥٦ ـ شيخ

من أهل دمشق .

حدّث عن الهذيل بن عمرو بسنده إلى علي بن أبي طالب قال :

مَنِ ابْتُلِي بزمانةٍ في جسده تمنعه من العَمَل ، كانت كفارة لذنوبه ، وعمله فَضْلاً .

---

(١) سورة هود : ٣١/١١

obeikandl.com

٣٥٧ ـ شيخ

حَدَّث عن الأَوْزاعي أنه أقبل حتى نزل بأخٍ له ، فحضر العَشاء ووضع المائدة ، ويَد الأوزاعي تتناول ، فقال الرجل : تعذرنا يا أبا عمرو ، جئتنا في وقت ضيقٍ . فرَدَّ يده في كُمه ، وأبى . فقال الرجل : والله ما اتخذت بعدك مالاً إلاّ المورث الذي تعرف ، ماذنبي ؟ قال : لم أكن لأصيب طعاماً قلَّ شكر الله عليه ، أو كُفرت نعمة الله عليه .

٣٥٨ ـ رجُل

مِنْ أهل العلم .

قال : جاء كتاب من الخليفة [١٣٠/آ] إلى محمد بن إبراهيم ، وهو على الموسم[1] : ابعث إليَّ سُفْيان الثَّوْري فقال له : يا أبا عبد الله ، هذا كتاب أمير المؤمنين . قال : فَمَهْ ؟ قال : كتب إلينا أن نبعث بك إليه . قال : السمع والطاعة . فقال للرَّسول : هذا سفيان بن سعيد وها هو يجيء معك ، وأنت أعلم . فخرج سفيان إلى الرسول وعليه إزاران متَّزر بأحدهما ، والآخر على كتفه . فلما بلغ الباب ، قال للرسول : أُعلم الأمير . فرجع معه . قال : رحمك الله ، مِن ها هنا إلى العراق بغير نفقة ؟ قال : يا أبا عبد الله ، وتريد نفقة ؟ قال : نعم . قال : ياغلام ، هات كيساً . فجاء بكيس فيه ألف دينار قال : يا أبا عبد الله ، إن أردت زدناك . قال : لا ، في هذا بلاغ . فأخذ الكيس وخرج ، فلما كان في بعض الطريق ، والرسول يذهب به إلى دار البريد مرُّوا بخَرِبَةٍ ، فلفَّ سُفْيان الكيس في إزاره ، ووضعه على باب الخَرِبَة ، وقال للرسول : أبصر هذا حتى أبول ، ودخل فأقام الرسول ماشاء الله ، فلمَّا لم يره حمل الإزار ودخل فلم ير شيئاً ، فحمل الإزار ومضى إلى محمد بن إبراهيم ، فلما رآه ضحك . قال : ويك مالك ؟ قال : خدعني . وقصَّ عليه القِصَّة فقال له : ويلك ، ولِمَ تركته ؟ قال : لم أظن أنه يذهب عُريان ، ويدع الكيس . قال : ثكلتك أُمُّك ، إني أحسب لو كان جميع ما يملك تركه .

---

(١) في الأصل : الميسم ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٨٣/١٩ آ . وانظر ترجمة محمد بن إبراهيم في تاريخ بغداد ٣٨٤/١ ـ ٣٨٧

٣٥٩ ـ رجل

من أهل دمشق .

قال المهدي لطازاد الرُّومي : أخبرني ببعض ما رأيت .

قال : كنت يوماً أسير على شاطئ نهر لا ينقطع إلاّ من موضع فيه صعوبة ، فإذا أنا برجل يصلي ، فخفف مِنْ صلاته . فقلت له : كأنك أضللت أصحابك ، فإن أحببت أرشدتك للطريق . فقال كالمنتهر : امض لشأنك . فقلت له : كأني أراك مُعْجباً بنفسك ، فهل لك في البراز ؟ قال : نعم . ووثب على فرسٍ له أنثى ، ثم أوثبها النهر فإذا هو معي ، ثم تجاولنا فلم أقدر عليه لثقافته[1] ، ثم قلت له : هل لك في المُصَارعة ؟ فقال : ذاك إليك . فألقينا السلاح ، فلما تجرَّد ازدريته لنحافته وقلت : أنا محتمله بأهون أمر أو قاتله ، أو **ذاهب به أسيراً ، وآخذ فرسه وسلاحه ، ثم اتحدنا ، فلم أصل منه إلى شيء ، واعتقلني فإذا أنا تحته ، ثم تناول سكيناً من خُفّه ليذبحني بها . فقلت له : هل لك [١٣٠/ب] إلى خير مما تريد بي ، أن تعتقني فأكون مولاك ، ولا أدع حفظك في كل مُسْلم أقدر عليه . فقال لي : ومَنْ أنت ؟ قلت : طازاد . فنهض عني وضربني برجله استخفافاً ، ثم مال إلى النهر ففسل وجهه ، ولبس سلاحه ، وركب فرسه ، وجاز النهر إلى الموضع الذي كان فيه . فقلت له : إني صرت مولاك فتبسم لي وأخبرني بموضعك ومنزلك . فأخبرني ، وكتبته بطرف سكيني** على صُفّة[2] سرجي ـ وكان طازاد رجلاً أيْداً يأخذ الكَبْشَين فيعلقهما بيده حتى ينتطحا ـ ثم قلت له : إن من أصحابي عدة أمامك فأبقهم . فقال : امضِ لشأنك . ثم عرض له ناس من أصحابي فحمل عليهم ، فقتل منهم أربعة ، ثم أدركتهم فمنعت من بقي منهم من قتاله ، وأمرت رجلاً من أصحابي أن يدخل عسكر المسلمين فيحرص على أن يسرق فرسه ، ويأتيني بها . فدخل عسكرهم مستأمناً ، فأقام أياماً لا يقدر على سرقتها ، وذلك أنه كان يركبها نهاراً ويسرجها ليلاً ، ويضع لجامها على قَرَبوسه ، ومخلاتها في رأسها ويصف قدميه حتى يصبح . فقال المهدي : بئس ما كافأته يا طازاد ! فكتب المهدي إلى عامل دمشق في إقدام الرجل

---

(١) أي لحذاقته . انظر اللسان : ثقف .

(٢) صفة السرج : التي تضم العرقوتين والبدادين من أعلاها وأسفلها . اللسان : صفف .

عليه ، فقدم ، ولا علم لطازاد بأمره ، فأمر المهدي بعرض الجُنْد والرجل فيهم . فقال طازاد : ياأمير المؤمنين ، ماأشبه هذا بالرجل الذي وصفت لك ، فدعاه المهدي ، فسأله طازاد أن يدنو منه . فأذن له ، فقبّل رجليه ، وأذكره بلاءه عنده ، فأراد المهدي صِلته فلم يقبلْها ، وصرفه إلى بلاده .

٣٦٠ ـ رجلان

سائحان في جبل لبنان .

خرج رجل يبتغي من فضل الله ، فصحِبَ رجلاً في الطَّريق فسأله عن مخرجه ، فقال له خبره ، فقال له الرجل : أخرجني الذي أخرجك . فانطلقْ بنا نلتمس الله مِنْ فضله . فخرجا في جبل لبنان يقصدان بيت المقدس ، فأتيا بعض المنازل ، فنزلا في قَصْر خَرِب ، فانطلقَ أحدهما ليأتي بطعام . قال [١٣١/آ] المتخلف منهما في الرّحل : ألهيت نفسي ، وجعلت أنظر بناء ذلك القصر وهيئته ، وخرابه ، واذكر سفري وتركي عيالي ، فإذا بلوح من رخام تجاهي فيه مكتوب : [من الكامل]

لما رأيتك جالساً مستقبلِي ... أيقنت أنَّك للهموم قرين
فارقص بها وتعرَّ من أثوابها ... إن كان عندك بالقضاء يقين
فالهمُّ سياه مشيب شامل ... ويكون مثوى الضرّ حيث يكون
هوِّنْ عليك وكنْ بربك واثقاً ... فأخو التوكل شأنه التهوين
طَرَح الأذى عن نفسه في رزقه ... لما تيقن أنه مضمون

فجعلت أقرؤهن وأتدبرهن إذ جاء صاحبي فقلت : ألا أعجبك ؟ قال : بلى . قلت : انظر ماعلى هذا اللوح . فنظر ونظرت ، فلم ير لوحاً ولا شيئاً . فجعلت أطوف في القصر وأتتبَّع مافيه فلم أر شيئاً .

٣٦١ ـ رجل عابد

بأذْرِعَات[1]

خَرَج أبو معاوية الأسود إلى عابد بأَذْرِعات . قال : فأقمت عليه ثلاثة أيام لا يكلّمني ، فقلت : اللهم وفقه لكلامي . فأقبل عليّ وقال : يا أسود ، من أين قدمت ؟ من الحج أو من الْعُمْرة ؟ أو نفدت نفقتك ؟ قلت : ماجئت من حج ولا عُمْرة ، ولا نفدت نفقتي . قال : فما جاء بك ؟ قلت : جئت لعلي أسمع منك كلمة أنتفع بها . فقال لي : يا أسود ، أنتَ **بمطربليطا[2] النَّصْراني أوثق منك بالله عَزّ وجل . قلت : معاذ الله . فقال : الساعة تقر ، أخبرني لو أن مطربليطا النَّصْراني قال لك : اجعل غداءك وعشاءك عندي ، أكنت واثقاً به ؟ قلت : نعم . قال : فالله قد ضمن لك الغداء والعشاء ، فهل ألقيت همّ ذلك عنك ؟ قلت : حسبي .**

٣٦٢ ـ شيخ متعبّد

قال ذو النُّون : رأيت شيخاً مجنوناً بدمشق مصفاراً ، بيده رَكْوة وعُكّازة ، وقد كتب على جيبه من ورائه : [من السريع]

حِق متى يـــا شيـــخ لاتستحي ... يراك مـولاك مـع الغـــافلين
مـاتستحي منـــه ومـــاترعـوي ... غطى خطـايـاك عن العـالمين
مشـــاك بين النـــاس في ستره ... وأنت معكـوف مـع الفـــاسقين

[١٣١/ب] وعلى كُمه الأيمن مكتوب : [من الوافر]

عجبت لمن ينـــام وذو المعـــالي ... ينـادي يـاعبـاد أنـا البـذول
وهـل يجـد الخلائـق مثـل ربي ... وكل فعـــالـــه حسن جميـل

وعلى كُمّه الأيسر مكتوب : [مجزوء الرمل]

---

(١) بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء . معجم البلدان : ١٣٠/١

(٢) في الأصل دون إعجام ، وقرأته كما كتب في تاريخ ابن عساكر س : ١٨٤/١٩ آ .

إن لله عبـــــــــــاداً كشفـوا فيـــه القنـــاعـــا
هـل رأيتم خـادمـاً عـــا مـل مـولاه فضـــاعـــا
سـوف أرويكم حـــديثـــاً قـــد سمعنـــاه سماعـــا
من دنـــا من ربـــه شبـ ـراً دنـــا منـــه ذراعـــا

٣٦٣ - رجل مِنْ شَرْعَب

من أهل جُوسِيَة من أعمال حِمْص ، كان يواظب على حضور الجمعة بدمشق - وشَرْعب قبيلة من قبائل اليمن - كان له بغل ، وكان يدلج على بغله من جُوسِيَة - وهي قريته من حمص - يوم الجمعة ، فيصلي الجمعة في مسجد دمشق ، ثم يروح فيبيت في أهله ، وكان الناس يعجبون منه ، ثم إن بغله ذاك نفق ، فنظروا جنبيه فإذا ليس له أضلاع إنما هو صفحتان عظماً مصمتاً .

٣٦٤ - رجل كان يَصْحَب ابن جَوْصاء[1]

حَدَّث عن نفسه ، أو عن شيخ حدثه أنه كان يرابط بالسَّاحل في صخرة موسى[2] ، فبينا هو على السور ينظر إلى البحر ، فرأى غراباً قد انحط على سمكة مطروحة على الشط ، فأدخل في عين السمكة مخلابه ثم اكتحل به . فتعجبت من ذلك ، وانحدرت إلى السمكة ، وأخذتُ ميلاً فاكتحلت من عينها ، فرأيت أشياء لم أكن أراها قبل ذلك ، ورأيت عجائب ، فبينا أنا يوماً في جِنازة ، وإذا رجل يضحك في وجوه الناس ويتلَهَّى ، فاغتظت منه ، ولحقته عند انصراف الجِنازة ، فقلت : ياعبد الله ، قفْ . فالتفت إليَّ فقال : مالك ؟ فقلت : ماتستحي من الله ؟ الناس في الجنازة وأنت تضحك وتتلَهَّى في وجوه الناس ؟ فقال : أنت تراني ؟ فقلت : نعم ، وقد رأيتك تضحك في وجوه الناس . فقال : ياهذا ، أنا الأمل ، بعثني الله في هذه الصورة ، أضحك في وجوه الناس ، وماهو ضحك ، وإنما أسليهم

---

(١) ابن جوصاء من كبار المحدثين في دمشق ، توفي سنة (٣٢٠ هـ) . انظر ترجمته في سير أعلام النبلاء : ١٥/١٥ - ٢١ بتحقيقنا .

(٢) قرب مدينة شروان من نواحي أرمينية على ساحل بحر الخزر . معجم البلدان (شروان)

وأبسط أملهم ليرجعوا إلى ما كانوا عليه حتى لا تخرب الدُّنيا ، ولولا ذلك ما عمرت الدنيا . ثم غاب عني .

٣٦٥ ـ رجل صَالح

[١٣٢/آ] مِنْ أهل دمشق .

قال مَعْروف : رأيت رجلاً في البادية شاباً ، حسن الوجه ، له ذُؤابتان حسنتان ، وعلى رأسه رداء قصب[١] ، وعليه قميص كَتَّان ، وفي رجله نعل طاق . فتعجبت منه في مثل ذلك المكان ، ومن زيه . فقلت : السَّلام عليكم ورحمة الله . فردَّ عليَّ . فقلت : الفتى من أين ؟ قال : من دمشق . قلت : متى خرجت منها . قال : ضحوة النهار ـ وبينه وبين المكان مراحل كثيرة ـ فقلت : وأين المقصد ؟ قال : مكة إن شاء الله . فعلمت أنه محمول ، وقلت في نفسي : لو علم أنه يساق إلى الموت سوقاً لرفق بنفسه . فودَّعْته ، ومضى .

فبعد ثلاث سنين أنا جالس في منزلي أتفكر في أمره ، إذ دق الباب ، فإذا بصاحبي ، فسلَّمت عليه ، وأدخلته المنزل ، فرأيته منقطعاً ذاهباً ، حافياً حاسراً ، فقلت : أيش الخبر ؟ فقال : ياأُستاذ ، لم تخبرني بما يفعل بعامليه . قلت : فأخبرني ببعض خبرك . قال : نعم ، لاطفني حتى أدخلني الشبكة ، ثم ضربني ورماني ، فمرة يلاطفني ، ومرة يُهينني ، ومرة يجيعني ، ويطعمني[٢] أخرى ، فليته أوقفني على بعض أسرار أوليائه ، ثم يفعل بي ماشاء . وبكى بكاء شديداً . قال معروف : فأبكاني . فقلت : فحدثني ببعض ماجرى عليك مذ فارقتني . فقال : هيهات أن أُبديه ، وهو يريد أن أخفيه ، ولكن بدياً[٣] مافعل بي في طريقي إليك . فقلت : مافعل بك ؟ قال جَوَّعني ثلاثين يوماً ، ثم جئت إلى قرية فيها مقثاة قد نَبذ عنها المدوّد والفاسد وطرح ، فقعدت آكل منه ، فبصر بي صاحب المقثاة ، فأقبل إليّ بسوط يضرب ظهري وبطني ، ويقول : يالص ، ماخرَّب مقثاتي غيرك ، منذ كم أنا أرصدك حتى وقعتَ عليك . فبينا هو يضربني ، أقبل فارس نحوه مسرعاً ، وأفلت

---

(١) القصب : ثياب ، تتخذ من كتان ، رقاق ناعمة . اللسان : قصب .

(٢) مستدركة على هامش الأصل .

(٣) البديّ : الأول . اللسان : بدا .

السوط في رأسه وقال : تعمد إلى وليٍّ من أولياء الله تضربه وتهينه وتقول له : يالص . فأخذ صاحب المقثاة بيدي إلى بيته ، ومأأبقى من الكرامة شيئاً إلاّ عمله ، واستحلني . فبينا أنا عنده لص إذ صرت ولياً . وجعل صاحب المقثاة مقثاته لله ولأصحاب معروف . فقلت له : **صف لي معروفاً . فوصف لي الصفة فعرفتك بما كنت شاهدته من صفتك . فما استتمَّ كلامه إلاّ وصاحب المقثاة قد جاء ، وكان موسراً ، فأخرج جميع ماله ودنياه وأنفقه على الفقراء ، وصحب الشاب سنة وحَجّا ، فماتا بالرَّبَذَة**[1] .

[١٣٢/ب]

٣٦٦ ـ شيخ من أهل دمشق

قال : قال إبراهيم بن أدهم :

أعربنا في الكلام فما نلحن ، ولحنا في الأعمال فما نعرب .

٣٦٧ ـ شيخ

كان بكناكر[2] من دمشق قال : قال موسى : سافروا وأملوا في أسفاركم البركة ، فإني سافرت ، ومأأؤمل كل ماأتاني .

٣٦٨ ـ شابٌّ صَالح

كان ضيفاً للقاسم الْجُوعي .

قال قاسم : وقف عليَّ غلام فسلَّم فرددت فقال : يامعلم الخير ، كنت مع فلان بأنطاكية ، فلما حضرته الوفاة قلت : أرشدني إلى مَنْ أكون معه . فقال : عليك بقاسم الْجُوعي فقلت : أوسعوا له . فلم يزل حتى صلينا الْعِشاء الآخرة ، فجاء معي البيت . فقلت للمرأة : قومي إلى البيت الذي بجانب الدار ، فاطرحي فيه حصيراً ، واجعلي فيه سراجاً ، وكوز ماء وطعاماً فقد جاءنا ضيف . ففعلت ذلك . فأقام عندي شهرين أقل أو أكثر

---

(١) من قرى المدينة على ثلاثة أيام قريبة من ذات عرق . معجم البلدان : ٢٤/٣

(٢) في الأصل : كان يكون ، وهو وهم .

فنسيت المرأة ليلة أن تؤدي إليه سراجاً وطعاماً حتى مضى من الليل مامضى ، فأويت إلى فراشي ، وأطفأت المرأة السراج ، وجاءت لتأوي إلى فراشها ، فذكرت [1] [أنها لم تؤدِ إلى الغلام طعاماً ولاسراجاً][1] فوثبت مسرعة فقدحت وأسرجت وأخذت طعاماً وسراجاً ، ومضت إلى الغلام فوجدته مستقبلاً القِبلة قائماً ، وقنديلاً يسرج ، فمسحتْ عينيها ، وأحدَّت النظر ، فإذا الغلام قائم ، والقنديل يسرج ، فرجعت إلى قاسم فأنبهته وأخبرته وقالت : قم حتى أريك . قال : فلبستُ ثوبي ومضيت معها . فقالت : إن هذا الفتى أُنسيت أن أودّيَ إليه طعاماً وسراجاً إلى هذا الوقت ، وجئت فرأيته على هذه الحالة . فقلت لها : سألتك بحق كذا وكذا الذي كنت تخصيني به خصي به هذا الغلام ، متى كنت أُؤمل أن أرى مثل هذا ؟! وهذا ولي من أولياء الله . فلما أصبحنا خرجت أنا والغلام إلى المسجد ، فلم نزل حتى صلينا العشاء الآخرة ، ثم نهض ونهضت ، وأحببت الاعتذار إليه وأعذر المرأة ، وشرحت له الحال ، فقال : ياقاسم ، عليك السلام . فقلت له : إلى أين تريد السَّاعة ، ولاأحد يذهب ولا يجيء . وتضرعت إليه ليبيت تلك الليلة [١٣٣/آ] فأجابني إلى ذلك . فقمت إلى مِزْود[2] عندي فجعلت فيه فتيتاً وزَكوة وعشرة دراهم . وأصبحنا ، فغدوت وغدا الغلام معي إلى المسجد ، فلما صلينا الغداة نهض الْغُلام ونهضت معه ، فمضينا حتى صرنا إلى الموطأة ، فقلت : إلى أين تومي ؟ فقال : إلى بيت المقدس ، وقال : ارجع من هاهنا فقلت : خذ هذا الفتيت تشربه في الطريق ، وهذه الركوة تتوضأ فيها للصلاة ، وهذه العشرة دراهم ماكان عندي غيرها ، ولكن يرزق الله . فقال : ياقاسم ، مالي فيها حاجة . فأقبلت أطلب إليه وأتملقه ، فبعد حين أخذ الرَّكوة ، فقال : هذه أتوضأ فيها للصلاة وأذكرك بها . فقلت : فخذ هذا الفتيت وهذه الدَّرَاهم . فأدخل يده في كُمِّه ، فأخرج كفَّه مملوءة دنانير . ثم قال لي : ياقاسم ، من كان هذا معه أيش يعمل بدراهمك ؟ فأقبلت أنظر إلى الدنانير في كُمِّه ، ثم رمى بها إلى الأرض ، فنظرت إلى الموضع الذي رماه والتفت فلم أر الْغُلام .

---

(١) مابين حاصرتين من تاريخ ابن عساكر س : ١٨٥/١٩ آ

(٢) وعاء يجعل فيه الزاد . اللسان : زود .

٣٦٩ ـ صديق

للقاسم الجُوعي .

حدَّث أبو عبيد أنَّ أول حجة حجَّها قدم إلى دمشق ، فلقى قاسم بن عثمان الجوعي ، فأعلمه أنه نوى الحج فقال : إذا أردت الخروج فائتني حتى أوصي بك بعض إخواني من العراق لتصحبه في طريقك ، فلما قَرُب وقت الحج جاء إلى قاسم ومعه جريب فيه رطل سويق وخمسة دنانير ، فقال له قاسم : ماهذا ؟ قال : شيء زودته . فقدم رجل من العراق ، فسلَّم **عليه قاسم ووصَّاه بأبي عبيد وخرجا . قال أبو عبيد : فلما صرنا في بعض الطريق قال لي : ماهذا معك ؟ فأخبرته . فقال : ضعه هاهنا ، فوضعته ومضيت معه ، فكنا إذا احتجنا إلى** الطعام وجدناه ، حتى قدمنا مكة ، فلما قضينا الحج ، قال لي في يوم الزِّيارة : إني غداً عند العصر أموت ، فكفِّني في عباءتي هذه ، وادفني . فقلت : صحبتك من الشّام إلى هاهنا فلم أسألك عن اسمك ، فعرِّفني . فقال : لاتحتاج إلى هذا ، ولكن إذا صرت إلى بيت المقدس فادخل الصخرة تر شيخاً جالساً عن يمينك فهو يسلِّم عليك ويعرفك من أنا . قال : فلما صرت إلى بيت المقدس وجدت الشيخ ، فسلَّم علي وعزَّاني برفيقي ، وقال : إنه كان أحد السبعة ، وإنه لما قبضه [١٣٣/ب] الله جعلك بدله وقال : أنا أبو العَبَّاس الخَضِر . قال : فكان ذلك أول شيخ رأيته .

٣٧٠ ـ رجل متصوِّف

قال : رأيت على صخرة منقوراً ببيروت : [من السريع]

خذ [ها][1] فقد أسمعك الصوت ... بادر وإلاّ فهو الفوت
وانهج بما شئت وعش آمناً ... آخر هذا كله الموت

٣٧١ ـ رجل

له فضل ، مستجاب الدُّعاء .

قال أبو الحارث الأوْلاسي : ذُكر لي عن رجل بدمشق فضل ، ومعه إجابة ، فصرت إليه

(١) مابين حاصرتين من عندنا ليستقيم الوزن .

فقال لي : قم بنا نصير إلى الساحل ، فمضينا ، فنحن في الطريق إذا امرأة تصرخ في غابة ، وإذا معها شرطي ، قد صَحَر حمارُها[1] ، وهو يراودها عن نفسها ، فصرخت ، فصاح به الرجل مرّتين أو ثلاثاً ، فتهاون بكلامه ولم ينته . قال أبو الحارث : فرأيته يحرّك شفتيه فإذا الشرطي يغيب في الأرض ، وأنا أنظر إليه ، فسقطنا جميعاً ، فما أفقت إلاّ بعد مدة ، فقمت وأنا أقول : لاإله إلاّ الله . فقال الرجل : لاإله إلاّ الله . فمضيت وقلت : ليس أصحبك بعد هذا . فقال : إيهْ . ورأيته مثل النّادم على فعله ، وبقي كأنه مستعتب مِنْ فعله .

٣٧٢ ـ رجل صالح

كان بجبل لبنان ، تطوى له الأرض من يومه إلى بيت المقدس .

قال أبو الحارث الأَوْلاسي : فصرت إليه ، فإذا هو رجل قد التبس سلامه[2] . فسألته : من أين المطعم ؟ فدعا بظبية كانت قريباً منه في الجبل ، فجاء بها إلى صخرة فيها نُقْرة ، فحلبها عليها ، وسقاني من اللبن .

٣٧٣ ـ رجل

كان بدمشق له بغل يكريه من دمشق إلى تل الزَّبَدَاني[3] ، ويحمل عليه الناس ، فذكر أنه أكرى بغلَه مرةً من رجل يحمل عليه متاعاً له ، فلما صار خارج الدرب ، لقيه رجل وسأله أن يحمله على رأس الحمل بأجرته ، قال : فرغبت في الْكِراء وحملته ولزمت المَحَجّة[4] فلما صرنا ببعض الطريق قال لي : هل لك أن تأخذ بنا هذا الطريق فإنه مختصر [١٣٤/آ] ونحن عند مفرق طريقين ، فقلت له : أنا لاأخبر هذا الطريق ولاأعرفه . فقال : أنا أعرفه ، وقد سلكته مراراً كثيرة . قال : فأخذت في ذلك الطريق ، فأشرفت على موضع وَعِر وحش[5] وواد عظيم هائل ، واستوحشت ونظرت يمنة ويسرة فلا أرى

(١) صحر الحمار ، من الصحير ، وهو صوت الحمير ، وهو أشد من صهيل الخيل . اللسان : صحر .

(٢) أي لم يبن في سلامه .

(٣) كورة مشهورة معروفة بين دمشق وبعلبك . معجم البلدان : ١٣٠/٣

(٤) أي جادة الطريق . اللسان : حجج .

(٥) أي خال . اللسان : وحش .

أحداً . فبينا أنا كذلك إذ قال لي : امسك برأس البغل حتى أنزل . فقلت له : أيش تنزل في هذا الموضع ؟ مر بنا نلحق البلد بوقت فقال : خذ ويلك برأس البغل حتى أنزل ، وقد أشرفت على واد عظيم ، تخايل لي أن فيه أقواماً موتى . فأمسكت برأس البغل حتى نزل ، ثم أخرج سكيناً عظيماً ، وقصدني ليقتلني ، فعدوت من بين يديه وقلت : يا هذا ، خذ البغل وما عليه . فقال : هذا هو لي ، وإنما أريد قتلك . فخوفته بالله ، وتضرعت إليه ، وبكيت ، وحذرته من الله ، فأبى وقال : لابد من قتلك . فاستسلمت في يده ، وقلت : دعني أصلّ ركعتين ، ثم افعل ما بدا لك . فقال : افعل ولاتطول . فكبرت ، وأرتج عليّ القراءة ، فلم أذكر من القرآن حرفاً ، وأنا واقف متحيّر وهو جالس يقول : افرغ . فأجرى الله على لساني بعد وقت فقرأت ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاه ويكشِفُ السُّوء ﴾[1] فإذا أنا بفارس قد أقبل من نحو الوادي ، وبيده حربة ، فرمى بها الرجل فخر صريعاً . فتعلقت بالفارس وقلت : بالله ، من أنت ؟ فقال : أنا رسول ﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا دَعَاه ويكشِفُ السُّوء ﴾[1] قال : فأخذت البغل والحمل ، ورجعت إلى دمشق سالماً .

٣٧٤ ـ رجل

حدَّث أنه قرأ على قبر بدمشق : نعم المسكن لمن أحسن .

٣٧٥ ـ شاعر

من أهل نجد ، كان بأذْرِعات . من شعره : [من الطويل]

ألا أيها البرق الذي بات يرتقي ... ويجلو دجى الظلماء ذكرتني نجدا
وهيجتني من أذْرِعات وما أرى ... بنجد على ذي حاجة طَرِبٍ بُعْدا
ألم تر أن الليل يقصر طوله ... بنجد وتزداد الرياح به بَرْدا

(١) سورة النمل : ٦٢/٢٧

[١٣٤/ب]

٣٧٦ ـ رجل

من أصحاب الحديث . أنشد : [من الكامل]

كم من أخ لـك لم يلـده أبـوكا ... وأخ أبـوه أبـوك قـد يجفـوكا
كم إخـوة لـك لم يلـدك أبـوهم ... وكأنمـا آبـاؤهم ولـدوكا
لـو رُمْتَ حَمْلَهُمُ على مكروهـةٍ ... تخشىٰ الحتوف بها لَمَا خـذلـوكا
وأقـارب لـو عـاينـوك منـوَّطـاً ... بنيـاط قلبـك ثم مـا نصروكا
فالناس ماستغنيت كنت أخـاً لهم ... فـإذا افتقرت إليهم رفضـوكا

٣٧٧ ـ شاعر

من دمشق ، ومن شعره : [من الكامل]

ودعـوتني فـأكلت عنـدك لقمـة ... وشربت شرب من استتمَّ خروفـا
وسـألتني في إثر ذلـك دعـوة ... ذهبتْ بمـالي تـالـداً وطريفـا
فجعلت أُفكِرُ فيـك بـاقي ليلتي ... مـا كنت تفعـل لـو أكلتَ رغيفـا[1]

٣٧٨ ـ رجل

من أصحاب الحديث . أنشد : [من الكامل]

ذهب الرجـال المقتـدى بفعـالهم ... والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يـزيِّن بعضهم ... بعضـاً ليسكت معـور عن معـور

٣٧٩ ـ صديق

لأبي القاسم ابن أبي العقب ، أنشده : [من البسيط]

كم المقـام وكم تعتـافـك العلـل ... ماضاقت الأرض في الدنيا ولا السبل

(١) الأبيات في « تتمة اليتيمة » : ٤١/١ وقد نسبهم الثعالبي إلى الحسن الدقاق .

إن كنت تـزعم أرض الله واسعـة ... فيهـا لغيرك مرتـاد ومرتحـل
فـارحـل فـإن بـلاد الله مـا خلقت ... إلاّ ليَسْكنَ منهـا السهـل والجبـل
الله عـودني الحسنى فمـا برحت ... عنـدي لـه نِعَمٌ تترى وتتصـل
إن ضـاق بي بلـد أبـدلتـه عـوضـاً ... وإن نبـا منزل بي كان لي بـدل
وإن تغير لي عن ودّه رجـل ... أصفى المـودّة لي من بعـده رجـل
لم يقطـع الله لي من صـاحب أمـلاً ... إلاّ تجـدد لي من صـاحب أمـل
لاتبتـذل أبـداً وجهـك[1] في طمـع ... فمـا لـوجهـك مـاء حين يبتـذل

[١٣٥/آ]

٣٨٠ ـ رجل

من أهل بيروت .

قرأ على سور صور مكتوباً : [من الوافر]

دعِ الـدنيـا فـإني لاأراهـا ... لمن يرضى بهـا داراً بـدار
ودارك إنمـا اللـذات فيهـا ... معلقـة بـأيـام قصـار

٣٨١ ـ شاعر

من المادرائيين[2] .

حدَّث أبو الفرج عبد الواحد المَخْزومي قال : تأخرت بدمشق عن سَيْف الدولة مكرهاً ، وقد سار في بعض وقائعه ، فانقطعت إلى أبي بكر علي بن صالح الرُّوْذبَارِيِّ لتقدمه في الرياسة ، وفضله ، فأحسن إلي ، وتوفرت على قصد المتنزَّهَات المطروقة تسلياً وتعللاً ، فقصدت دير مُرّان[3] ، واستصحبت بعض مَنْ كنت آنس به ، فنزلناه ، وكنت اخترت من رهابنته من توسمت فيه رقة الطبع ، وسجاحة الأخلاق ، فانصرفت بي نظرة إلى بعض

(١) مستدركة على هامش الأصل والبيت مكسور الصدر .

(٢) هذه النسبة إلى مادرايا ، وهي من أعمال البصرة . وكان بمصر جماعة منهم كُتّاباً ، وهذا الشاعر منهم ، قدم دمشق . انظر معجم البلدان : ٣٤/٥

(٣) كان بالقرب من دمشق . انظر معجم البلدان : ٥٣٣/٢ ـ ٥٣٤

obeikandl.com

الرهبان ، فوجدته مترقباً لنظري ، فغمزني وأومأ إليّ ، فأنكرت ذلك ، ونهضت عجلاً ، فأخرج إلي رقعة مختومة ، ففضضتها فإذا فيها بأحسن خط وأوضحه :

بسم الله الرحمن الرحيم ، لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة إلى مولاي بين حزم يحث على الانقباض عنك ، وحسن ظن يحض على التجاوز عن نفيس الحظ منك ، إلى أن استنزلتني الرغبة على حكم الثقة بك من غير خبرة ، فرفعت بيني وبينك سجف الحشمة ، فأطعت بالانبساط أوامر الأُنسة ، وانتهزت في التوصل إلى مودتك فائت الفرصة ، والمستماح منك زَوْرة أرتجع مااغتصبته الأيام من المسرّة ، مهنأة بالانفراد إلاّ من غلامك . [من الطويل]

وماذاك عن خُلْق يضيق بطارق ولكنْ لأخذي باجتناب العوائقِ

فإن صادف ماخطبته منك تقبلاً فَمِنَّة غفل الدهر عنها ، وفارق مذهبه بما أهداه إلي منها ، وإن جرى على رسمه في المضايقة فيما أوثره من قربك ، فذمام المروءة يلزمك رَدّ هذه الرقعة وسترها وتناسيَها واطراح ذكرها .

وتلو هذا الخطاب أبيات : [من مجزوء البسيط]

[١٣٥/ب] هل لك في صاحب تناسب بالـ ـغربة أخلاقه وبالأدب
أوحشه القرب[1] فاستراح إلى قربك مستنصراً على النُّوَبِ
فإن تقبلت ماحباك به لم تشن الظن فيك بالكذبِ
وإن أبى الدهر دون بغيتنا فكن كمن لم تقل ولم تجبِ

فورد عليّ ماحيرني ، وتحصل لي في الجملة أن أغلب الأوصاف على صاحبها الكتابة ، وقلت للراهب : مَنْ هذا ؟ وكيف السبيل إليه ؟ فقال : أما ذكر حاله فإليه إذا اجتمعنا ، وأما السبيل إلى لقائه فسهل إن شئته . قلت : دلني . قال : تتصيّد عُذْراً تفارق أصحابك ، وإذا حصلت بظاهر الدير عدلتْ بك إلى باب خفي تدخل منه . فرددت الرقعة وقلت : ادفعها إليه ليتأكد أُنسه بي وسكونه إليّ ، وعرّفه أن التوفر على التحيل في المصير إليه أولى من التشاغل بإصدار جواب أو قطع وقت بمكاتبة . وعدت إلى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به ، فأنكروا ذلك ، واعتذرت لهم بشيء عرض لي ، واستدعيت ماأركبه ، وأمرت

(١) كذا في الأصل ، وفي يتيمة الدهر : ٢٠٣/١ « الدهر » وهو الأشبه .

من يخدمني بالتوفر على خدمتهم ، وقد كنا على المبيت ، فاجتمعوا على تعجل الانصراف ، وخرجت من الدير ومعي مملوك كنت آنس به . وتلقاني الراهب فعدل بي إلى طريق وأدخلني الدير من باب غامض ، وصار بي إلى قَلاَّية[1] ، فقرع بابها بحركات مختلفات كالعلامة ، فابتدرنا منه غلام ، كأن الشمس تشرق من غُرَّته ، والليل في أصداغه وطرته ، بغلالة تمّ على ماتستره ، فبهر عقلي ، واستوقف نظري ، ثم أجفل كالظبي المذعور ، وتلوته والراهب إلى صحن القَلاَّية ، فإذا بيت مفروش مبسوط ، فوثب إلينا منه فتىً مقتبل الشبيبة ، ظاهر النبل ، حسن الصورة متزيٍّ[2] من اللباس بزي غلامه ، فلقيني حافياً يعثر في سراويله ، واعتنقني وقال : إنما استخدمت هذا الغلام في تلقيك لأجعل مالعلك استحسنته من وجهه قبالة ماترد عليه من قبح وجهي ؛ [١٣٦/آ] فاستظرفت اختصاره الطريق إلى بسطي ، وارتجاله النادرة على نفسه حرصاً في تأنيسي ، وأفاض في شكري على المسارعة إليه ، وأنا أواصله بالتعبد له ، والاعتداد بتفضله . وقال : أنت مكدود بمن كان معك ، والتمتع بمحادثتك لا يتم إلاّ بالتوصل إلى راحتك . فاستلقيت يسيراً ، ثم نهضت ، فخُدِمْتُ في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفتها في دور أكابر الملوك . وأحضرنا خادم له طبقاً يضم ما يتخذ للعَشاء . فقال لي : الأكل مني ياسيدي للجوع ، ومنك للمجالحة والمساعدة . فنلنا شيئاً ، وأقبل الليل ، وجاءنا الراهب من الأشربة بما أخبرناه . ولم يزل يناهبني نوادر الأخبار ، ومُلَح الأشعار ، ويخلط ذلك من المزاح بأظرفه ، ومن التودد بألطفه إلى أن توسطنا الشرب ، فالتفت إلى غلامه فقال : يامترف ، إن مولاك ماادخر عنّا السرور بحضوره ، وما يجب أن ندخر ممكناً في مسرّته . فامتقع وجه الغلام حياء وخفراً ، فأقسم عليه بحياته وأنا لاأعلم ما يريد ، فمضى وجاء بطنبور ، وجلس وغنى : [من المجتث]

يـــامـــالكي وهـــو ملكي ... وســـــالبي ثـــــوب نسكي
نـــــزّه يقين الهـــــوى فيـ ... ـــــك عن تعرّض شـــــك
لـــــولاك مـــــازلت أبكي ... إلى الصبـــــــــاح وأبكي

فنظر إلى الغلام وتبسم ، فعلمت أن الشعر له ، وكدت أطير طرباً ، فاستدعيت

---

(١) كالصومعة . اللسان : قلا .

(٢) في الأصل : مثر . والمثبت ماهو في يتيمة الدهر : ٢٠٤/١

كيزاً ، فأحضرنا الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد الحكم ، فشربت وشرب ، ثم قال : أنا أحب ترفيهك ، ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ، فقد عرفت الاسم والنسب والصناعة ، وقد كنت أوثر أن نسِمَ ليلتنا بشيء يكون لذكرها معلماً . فكتبت ارتجالاً : [من المجتث]

وليلـــــــــة أوسعتني حسنـــاً ولهـواً وأنســـا
مـــــازلت ألثم بـــــدراً بهـــا وأشرب شمســـا
إذ أطلـع الـــدير سعـــداً لم يُبْـقِ مُـــذْ لاح نحســـا
فصـــار للروح روحـــاً مني وللنفس نفســـــا

[١٣٦/ب] فطرب على قولي : ألثم بدراً وأشرب شمساً ، وعلى قولي : للروح روحاً ، وللنفس نفساً . وجذب غلامه فقبله ، وقال : ما جهلت ما يجب لسيدي من التوقير ، وإنما اعتمدت تصديقك فيما ذكرته ، فبحياتي إلاّ فعلت ذلك بغلامك ، فاتبعت إيشاره خوفاً من احتشامه ، وأخذ الأبيات ، وجعل يردّدُها ، وكتب إجازة لها : [من المجتث]

ولم أكن لغريمي والله أبـــذل فلســـا
لـــو ارتضى لي خصمي بـــدير مُرَّان حبســـا

فقلت : إذاً ما كان أحد يؤدي حقاً ولا باطلاً . وعرفت أنه مستتر من دَيْن . وقال لي : قد خرج لك أكثر الحديث ، فإن عذرت وإلا ذكرت الحال لتعرفها على صورتها ، فتبينت ما يؤثره من كتمان نفسه ، فقلت له : ياسيدي كل ما لا يتعرف بك نكرة ، وقد أغنت المشاهدة عن الاعتذار . وجعل يشرب وينخب علي من غير إكراه ولا حث إلى أن رأيت الشراب قد أخذ منه . وأكب على مجاذبة غلامه ، فأظهرت النوم ، ففرش لي إلى جانب فراشه ، وقام يتفقد أمري بنفسه ، فقلت : إن لي مذهباً في تقريب غلامي مني ، واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من غلامه ، فتبسم ، وقال لي بسكره : جمع الله لك المسرَّه كما جمعها لي بك . وأظهرت النوم ، وعاد يجاوب غلامه بأعذب ألفاظ ، وأحلى معاتبة ، ويخلط ذلك بمواعيد تدل على سعة حال وانبساط يد ، وغلامه يقبّل يده ورجله وفمه ، وغلب علي النوم إلى أن أيقظني هواء السحر ، فانتبهت وهما متعانقان ، فأردت توديعه ، وحاذرت إزعاجه ، فخرجت ولقيني الخادم يريد إنباهه ، فأقسمت عليه ألاّ يفعل ، وركبت منصرفاً ، ومحدثاً نفسي بالعودة إليه ، ومتوهماً أن ما كنت فيه مناماً لطيبه ، واعترضتني

أشغال أدّتْ إلى اللحاق بسيف الدولة ، فسرت متحسراً على مافاتني من معرفة حقيقة خبره ، ولم أزل متلهفاً على [1] ماسلبته من[1] فراقه ، ولم أحصل على حقيقة خبر [١٣٧/آ] يطمعني في لقائه إلى أن عاد سيف الدولة إلى دمشق ، فما بدأت بشيء قبل المصير إلى الدير ، وطلبت الراهب ، وسألته عن خبره ، فقال : أما الآن فنعم ، هذا فتى من المادرائيين ، عظيم النعمة ، جليل القدر ، كان ضَمن من السلطان بمصر ضياعاً بمال عظيم ، فخاش[٢] به ضمانه وأشرف على الخروج من نعمته ، فاستتر ، واشتد البحث عنه ، فخرج مختفياً إلى هذا البلد بزي تاجر ، واستتر عند بعض إخوانه ممن أعرفه ، فإني يوماً عنده إذ ظهر لي وقال لصديقه : إني أريد الانتقال إلى هذا الراهب إن كان عليٌّ مأموناً ، فذكر له صديقه مذهبي ، وأظهرت المسرّة بما رغب فيه من الأنس بي ، وأنا لاأعرفه ، غير أن صديقي أمرني بخدمته ، وأكد عليّ تأكيداً عرفت منه جلالة قدره ، وحصل في قَلاّيتي يواصل الصوم ، فبعد أيام جاءنا رسول صديقنا ومعه الغلام والخادم وقد لحقا به بسفاتج وعليهما ثياب رثة ، فلما نظر إلى الغلام قال : يا راهب ، جاء الفطر مع إقبال العيد . ووثب إليه فاعتنقه ، وقبّل بين عينيه ويبكي ، وأنفذ رقعة منه إلى صديق له ، فحمل إلينا ألفي دينار ، فدفع إليه منها ثلاث مئة دينار وقال له : ابتع لنا مانستخدمه في هذه الضيقة . فابتاع آلة وفرشاً ، ولم يزل مكباً[٣] على ما رأيت[٣] إلى أن ورد عليه غلمانه بالبغال والآلات الحسنة ، وكتب أهله باجتماعهم على الإخشيد ، وتعريفهم حاله ، في بعده عن وطنه لضيق يده عما يُطالب به ، والتوقيع بحطيطة المال عنه ، وبعوده إلى بلده بالكتب ، فلما عمل على المسير قال لغلامه : سَلِّم مابقي من نفقتك إلى الراهب يصرفه في مصالح الدير إلى أن نواصل تفقده من مستقرنا . وسار وماله حسرة غيرك ، ولا يشرب إلاّ على ما يغنيه الغلام من شعرك ، وهو بمصر على أفضل حال ، ما يخل بتفقدي . فتعجلت بعض السلوة بما عرفته من حقيقة خبره ، وأقمت يومي عند الراهب ، وانصرفت .

(١-١) مستدرك على هامش الأصل .

(٢) أي نقص . انظر اللسان : خوش .

(٣-٣) مستدرك على هامش الأصل .

٣٨٢ آ ـ رجل

أنشد هذا الشعر : [من الوافر]

وجـــدت أخص إخـواني عـــدوي ... إذا مـــا الـــدهر أحـوجني إليـــه
سلمت من العـــدو ومـــادهـــاني ... سـوى من كان معتـــدي عليـــه

٣٨٢ ب ـ رجل

أنشد هذا الشعر : [من المديد]

مـالـك لا تفعـل الجميـل وقـد ... صـــورك الله أحسن الصـــورْ
ليس جمـــال الفتى بنـــافعـــه ... إلا بنشر الجميـــــل في البشرْ

٣٨٣ ـ شاعر

كتب إلى أبي الحسن[1] بن الران الواعظ : [من المتقارب]

عجبت ومثلي لا يعجب ... طربت ومثلي لا يطرب
لليـــــل يكر على فجره ... وعُمْري بينهما يـــــذهب
ومـــاتبت لله من زلـــة ... فـــأين من الله لي مهرب
ولاخفت سطـوتـه إذ خلـوت ... بـــأقبـح شيء لـــه أركب
فـــواحـــزْني ثم واحسرتي ... على مُكسِب شرَّ مـــا يكسب
ويـــالهف نفسي على تـوبـــة ... تقرب مني الـــــذي أطلب
وكيف السبيـل إلى مـــاطلبت ... وأنت خبير بمـــــا يطلب
وقـل لي يـــاطربي تـــارة ... ويـاعجبي مـــاالـــذي يعجب
وإني لفي شغُـــــل عنها ... بـــأمر عظيم هـــو الأغلب
فللـــه درك من واعـــظ ... يرغّب فيما لـــــه يرغب

(١) مستدركة على هامش الأصل .

فأجابه الشيخ أبو الحسن بن الران الواعظ : [من المتقارب]

عجبت لـــذي اللب إعجـابــه ... وأسبـــاب غفلتـــه أعجب
فـإن كنت أبصرت قصد الطريق ... يقينـــاً وصـح لـــك المطلب
فخـــــذ في مسيرك ذات اليمين ... تفـــوز وتحظى[1] بمـــا تطلب
وأكثر من الـزاد قبـل المعـــاد ... لعلـــك تنجـــو ولا تعطب
فمـــا الخير للمرء في لـــذة ... تبيـد ، وأيـامــه تـــذهب
[١٣٨/آ] نهـار يمر وليـل يكر ... ويـــومـــان بينهما تسلب
وعمـــا قليـل يكـون الحريص ... في القبر رهنـــاً بمـــا يكسب
ويطلب من ذنبـــه مهربـــاً ... وهيهـــات عَـزَّ بـــه المهربُ
وأصبـح في قعر مرمـوســـه ... تـــوعر من دونهـــا المطلب
وليس بهـــا ضـوء شمس يبين ... ولا ضـوء بـــدر ولا كـوكب
فيـــا عجبـــاً من فتى لاعب ... وأيـــدي المنـون بـــه تلعب
ويضحـــك من عِبَرِ سِنِّـــه ... وعين الـزمـــان لـــه تنـــدب
ويبعـــده العيش في كل يـوم ... وأسبـــاب مَنْيَتِـــهِ[2] تقرب
ويغفـــل عن مَرِّ أيـــامـــه ... وصرف الـزمـــان لـــه يلعب
ويفرح للشـــمس إذ أشـــرقت ... وشمس بشـــاشتـــه تغرب

٣٨٤ ـ رجل

أنشد لأبي العتاهية : [من مجزوء الكامل]

مـــا للمقـــابر لا تُجيـ ... ـبُ إذا دعـــاهُنَّ الكئيبُ
حُفَر مسقفـــــة[3] عليـ ... ـهن الجنـــادل والكثيبُ
فيهن وِلْـــــدان وأطْـ ... ـفـــال وشُبَّـــان وشيبُ
كم من خليـــل لم تكن ... نفسي لفُرْقتـــه تطيبُ

(١) كذا في الأصل . واستواء الوزن ألجأ الشاعر إلى هذا اللحن .
(٢) لا يستقيم الوزن إلا بهذا الضبط ، وهو لحن ، والمنيّة : الموت . اللسان : مني .
(٣) في الأصل . مشققة ، والمثبت من تاريخ ابن عساكر س : ١٩٠/١٩ ب وفي الديوان : ٣٥ مسترة .

غـــــادَرْتُـــــه في بعضهنَّ مُجَـــــدَّلاً وهـــو الحبيبُ
ولَـــوْتُ عَنْـــــهُ وإنَّما عَهْـــدي برؤْيتـــه قريبُ

٣٨٥ ـ شاعر

من دمشق .

قال فيما جرى بدمشق سنة إحدى عشرة وأربع مئة عند فتنة ولي العهد عبد الرحيم بن إلياس : [من الطويل]

تقضى أوان الضرب والطعن والحرب ... وجاء أوان الوزن[1] والصفع والضرب
وأضحت دمشق في مصابٍ وأهلُها ... لهم خبر قد شاع في الشرق والغرب
حريق وجوع دائم وبليـــة ... وخوف فقد حُقّ البكاء مع الندب
كأن دمشقاً حين تنظر أهلها ... وقد حشروا حشر القيامة للكتب
[١٣٨/ب] فلو كان من يجني يقادُ بذنبه ... لكنّا براء من قياد ومن ذنب
فوا أسفي أن المدينة أحرقت ... وطاف عليها طائف السخط من ربي
وأضحت تلالاً قد تحت رسومها ... كبعض ديار الكفر بالخسف والقلب
وأحرقت الأبواب من كل جانب ... فأصبحتُ بعد الأُنس ينكرها قلبي
إلى أين أسعى من دمشق وأرضها ... بها جنة الفردوس للأكل والشرب
وجامعها إحدى العجائب في الورى ... له الخبر المنعوت في سائر الكتب
إليكم جميعَ المسلمين نعيتها ... وإن كنت قد أقصرت في نعتها خطبي

٣٨٦ ـ رجل

أنشد لبعضهم : [من الخفيف]

قد سجنا نفوسنا في البيوت ... وقنعنا من دهرنا بالقوت
ورضينا من الصديق إذا ما ... ناب خطبٌ يعيننا بالسكوت

(١) أي الدفع ، والمصادرة والضرائب .